

مدينة الذهب

مدينة محمد علي باشا في السودان



حاتم الصديق محمد أحمد أبوزيد

مدينة الذهب

مدينة محمد علي باشا في السودان

حاتم الصديق محمد أحمد أبوزيد

الطبعة الأولى
2023م

اسم الكتاب



مدينة الذهب

مدينة محمد علي باشا في السودان

اسم الكاتب

حاتم الصديق محمد أحمد

الإيداع القانوني

......./2023م



الناشر

دار آريثيريا للنشر والتوزيع – الخرطوم – السـودان

جوال: 00249122094856 - 121566207

البريد لإلكتروني: arithriaforpublishing@gmail.com

تاريخ النشر:

الطبعة الأولى – 2023م



(إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ)

(سورة الملك: الآية ١٥)

المحتويات

الإهداء

إلى كل سوداني وسودانية

حملوا هذا الوطن بين الضلوع

وفي حدقات العيون...

شكر وتقدير

الحمد والشكر لله الذي وفقني لإنجاز هذا العمل في ظل ظروف بالغةِ التعقيد، والشكر أيضاً للدكتور علي أحمد إبراهيم أستاذ التاريخ القديم بجامعة النيل الأزرق ومجموعته التي نجحت في القيام بزيارة لمدينة الذهب مدينة محمد علي باشا بولاية النيل الأزرق جنوب مدينة فازوغلي في شهر نوفمبر 2023م، وتمكنوا من الوقوف على أطلال المدينة التاريخية وشهدوا ما لحق بها من دمار وتخريب بسبب العوامل الطبيعية والإهمال، وأيادي بعض الباحثين عن المعدن النفيس ،والشكر أيضاً للدكتور أنعم محمد عثمان أستاذ التاريخ الحديث بقسم التاريخ كلية الآداب جامعة الخرطوم والأستاذة سهى أنعم محمد عثمان التي قامت بترجمة تقرير المسح الاستطلاعي الآثاري للمناطق المتأثرة بتعلية سد الرصيرص فبراير 2009م، وللدكتور صلاح التوم إبراهيم الباحث بمركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر ،وللبروفيسور عبدالرحيم محمد خبير أستاذ علم الآثار بجامعة بحري والجامعات السودانية والعربية، والأستاذ حوى النبي علي صالح عبدالله لدورهم الكبير في مراجعة مسودة هذا الكتاب، وفي الختام اتقدم بخالص الشكر لكل من أسهم برأيه ورؤيته من أجل أن يطّلع الجميع على مدينة سودانية منسية عُرفت بمدينة الذهب و محمد علي باشا.

المؤلف

تمهيد

يهدُف هذا الكتاب للتعريف بمدينة الذهب ، التي عُرفت بمدينة محمد علي باشا في السودان، وهي المدينة التي أنشأها الباشا في منطقة النيل الأزرق جنوب مدينة فازوغلي، وهي واحدة من المدن التي ارتبط تاريخها وعوامل إنشائها بشخصية محمد علي باشا والي مصر، وزيارته التاريخية للسودان في الفترة من (15 أكتوبر 1838م وحتى 14 مارس 1839م)، وهي الزيارة الوحيدة واليتيمة التي قام بها إلى السودان طوال تاريخ حكمه الممتد من (17 مايو 1805 حتى 1سبتمبر 1848م)، ونجد أن هذه المدينة، على رغم حداثتها ونشأتها المختلفة عن بقية المدن السودانية، لم تجد حظها من البحث والتنقيب والدراسة من قبل المختصين والباحثين والمهتمين بالتاريخ، ولذلك سعى هذا الكتاب لإماطة اللثام عن ملابسات قيام هذه المدينة ونشأتها وتطورها وازدهارها ثم اندثارها، وذلك من خلال تتبع التعريف بالذهب في السودان وأماكن تواجده، ثم رغبة محمد علي باشا في السيطرة على السودان والحصول على الذهب كواحد من عوامل وأسباب غزوه للسودان، ثم تطرق الكتاب لرحلة محمد علي باشا للسودان وما صاحبها من أحداث طوال مسيرتها من القاهرة وحتى منطقة فازوغلي على النيل الأزرق، وقد اتضح من خلال هذا الكتاب أن محمد علي باشا أقام هذه المدينة رغبة منه في تأسيس مدينة حديثة عصرية تخدم طموحاته الاقتصادية، وتكون ملاذه الآمن عند تعرضه لأي خطر يداهمه في القاهرة من قبل خصومه في الداخل أو في الخارج، وقد تدهورت المدينة سريعاً بسبب قلة الذهب والإهمال، وأيضاً تخلي محمد علي باشا عن فكرة الذهاب في غزوه جنوباً بسبب عدم استقرار الأوضاع الداخلية، ومحاولة بسط نفوذه على مصر والشام والحجاز، ولأهمية هذه المدينة وغيرها من المدن السودانية نجد أن هناك ضرورة ملحة وعاجلة للاهتمام بالمدينة السودانية عموماً ودراسة عوامل نشأتها وتطورها وازدهارها في فترة الحكم التركي-المصري في السودان وفي غيرها من الحقب التاريخية المختلفة، والعمل على إجراء المزيد من الدراسات حول هذه المدينة التي قام محمد علي باشا بإنشائها في السودان وغيرها من المدن السودانية التي ظهرت وتطورت خلال الحكم التركي- المصري للسودان.

مقدمة 1

عَرف أهل السودان منذ القدم عمارة المدن وبرعوا في تطورها وعمارتها، كما أنهم نجحوا في اختيار المواقع المميزة لمدنهم، وأظهروا بصماتهم المعمارية على منشآتها. وبمرور الزمن أصبحت للمدينة السودانية معالمها ومميزاتها وطرازها الخاص الذي تميزت به عن سائر مدن العالم الأخرى، وقد أسهمت عوامل اجتماعية واقتصادية وأمنية كثيرة في ظهور بعض المدن السودانية الجديدة، وموت البعض الآخر منها عبر مختلف العصور والحقب التاريخية.

ففي فترة الحكم التركي- المصري ظهرت العديد من المدن في السودان مثل: الخرطوم، وكسلا، والكاملين، وفامكة التي تقع على الضفة الشرقية للنيل الازرق، وفامكة وتعني بلغة البرتا أهل مكة ، والمسلمية وغيرها من المدن ذات الأهمية الاقتصادية والاجتماعية، والحضارية. وفي هذا الخضم ظهرت مدينة محمد علي باشا التي عُرفت في التاريخ بـ (مدينة الذهب)، وقد ارتبطت نشأة هذه المدينة بزيارة محمد علي باشا للسودان في رحلته التاريخية للسودان في الفترة من 15 أكتوبر 1838 - 14 مارس 1839م، وكان هدف الباشا من هذه الرحلة هو البحث عن الذهب والحصول عليه بمختلف الطرق والوسائل، فأقام هذه المدينة في منطقة النيل الأزرق في الجنوب الشرقي من السودان، وقد تميزت هذه المدينة عن غيرها من مدن الحكم التركي في السودان بأنها مدينة ارتبط قيامها بالمعدن الأصفر، ووجدت كامل الاهتمام من الباشا، وقد اشتملت على قصر، وحديقة، ومستشفى، وسكن للجند ومخازن للأسلحة، بالإضافة إلى سكن لنحو ألف أسرة من أبناء المنطقة الذين تم اختيارهم للعمل في تعدين الذهب، وقد تم إحاطة المدينة بسور عظيم بغرض حمايتها. وقد بذل الباشا جهدا كبيرا لإكمال هذه المدينة حتى تصبح في المستقبل واحدة من خيارات الحماية إذا ما تدهورت الأوضاع الأمنية في مصر واحتاج الباشا للتراجع جنوباً، فتكون مدينته في النيل الأزرق الملجأ الآمن المعد لذلك. إلا أنّ الأمور جرت على غير ما يشتهي الباشا؛ إذ تدهورت المدينة بسبب عدم الحصول على الكميات المتوقعة من الذهب، وأُهملت، وهجرها أهلها. ومازالت بعض آثار هذه المدينة شاخصة وظاهرة للعيان تبحث عن من يُنقّب في تاريخها ويعيد إليها مجدها الذهبي.

مقدمة 2

تميز السودان منذ قديم الزمان بتعدد موارده وثرواته، الأمر الذي جعله يتعرض للعديد من الغزوات الخارجية للحصول على هذه الثروات والموارد منذ عهد الفراعنة، ومروراً بالممالك والسلطنات الإسلامية التي حكمت مصر في فترات تاريخها الممتد، ثم بعد ذلك كان غزو محمد علي باشا للسودان، الذي جاء وبصورة واضحة وصريحة، من أجل الحصول على موارد السودان المتمثلة في المال (الذهب) والرجال، وأيضا بغرض القضاء على المماليك الذين هربوا نحو السودان خوفاً من بطش الباشا وتنكيله، ثم تأمين التجارة بين السودان ومصر، حيث تعرضت الطرق التجارية لحوادث السلب والنهب من قبل العديد من القبائل السودانية، ومن الأسباب أيضاً حماية مجرى النيل من الخطر الحبشي، فقد تعرض المجرى في فترات تاريخية للعديد من التهديدات من قبل الأحباش، ومن الأسباب أيضاً رغبة محمد علي باشا في بسط نفوذه وسيطرته على البحر الأحمر من الجانب الأفريقي عبر السودان، وكان الباشا يطمح في تأسيس إمبراطورية قوية ومترامية الأطراف، وفي فترة الحكم الإنجليزي- المصري نشأت العديد من المدن نتيجة لعوامل اقتصادية واجتماعية وسياسية مختلفة، مثل: مدينة عطبرة، والخرطوم بحري، والخرطوم، وكوستي وغيرها من المدن السودانية، وقد ارتبطت نشأة هذه المدن وتطورها بالكثير من العوامل والأسباب، منها عوامل اقتصادية، واجتماعية، وسياسية، وقد أسهمت العوامل الاقتصادية والسياسية، والنظرة الاستراتيجية المستقبلية لمحمد علي باشا في نشأة وقيام مدينة الذهب في السودان.

يُعد موضوع الكتابة عن المدينة السودانية ونشأتها وتاريخها واحد من الموضوعات المهمة التي يجب على المختصين والباحثين والمهتمين بالتاريخ والتوثيق التنقيب فيه بقدر كبير من الصبر والتمحيص، لأن دراسة نشأة هذه المدن، والمراحل التي مرت بها، وكيفية تطورها تعطينا صورة واضحة لحركة المجتمع بكل تفاصيله، وتعكس مدى التطور أو التدهور الذي لحق بالمدينة ومكوناتها عبر مختلف الحقب التاريخية، كما أن دراسة المدينة بقدر كبير من التفصيل والشرح والتحليل يسهم في التعريف بتاريخ

وتـراث الأمـة في حقبـة تاريخيـة محـددة، ويعكـس التطـور الـذي وصلـت إليـه البـلاد في مختلف جوانب الحيـاة، ويميـط اللثام عـن التاريـخ الاجتماعـي وحركة المجتمـع في الفتـرة التاريخيـة المحـددة.

ولـذا نجـد أن المجتمعـات المتحضـرة التـي تعمـل علـى ربـط مسـتقبلها بحاضرهـا وماضيهـا تهتـم بالمـدن التاريخيـة، وتعمـل علـى صيانتهـا وحفظهـا مـن الاندثـار والضيـاع بسـبب العوامـل الطبيعيـة والبشـرية، ونحـن في السـودان، في وقتنـا الحالـي، أحـوج مـا نكـون للمحافظـة علـى جميـع مورثاتنـا الثقافيـة مـن مـدن تاريخيـة وحضاريـة ومقتنيـات آثاريـة للأجيـال القادمـة، لأن الشـعوب العظيمـة عبـر التاريـخ الإنسـاني هـي تلـك التـي تحافـظ علـى ماضـي أجدادهـا ومقتنياتهـم لبنـاء أمـة قويـة متقدمـة ومتحضـرة ولتفاخـر بـه بـين الأمم.

الفصل الأول

الذهب في السودان

عُرف السودان منذ أقدم العصور بتعدد موارده وثرواته وتنوعها، والتي من أهمها الذهب وغيره من الموارد، وقد أسهمت العوامل الجغرافية والموقع المميز للسودان في أن يكون من ضمن الدول ذات الموارد الضخمة؛ والناظر لجغرافية السودان يلحظ أن كل إقليم من مناطق السودان له ما يميزه عن الأقاليم الآخر، ولكنها جميعاً تتميز بتوافر المعدن النفيس ووجوده بها.

وعلى الرغم من تعدد الموارد على امتداد الدولة السودانية إلا أن الانتفاع بهذه الموارد من قبل السكان المحليين غير ملحوظ، ويتفاوت من منطقة لأخرى[1]

لقد شجعت موارد الثروات وانتشار الإسلام في مصر موجات من العرب للدخول لهذه البلاد، وبعد توقيع اتفاقية البقط بين المسلمين وعظيم النوبة، شهد السودان تسرب مجموعات عربية عبر وادي النيل من مصر، والبحر الأحمر قاصدة مناطق شرق السودان وبلاد النوبة والمناطق الوسطى من السودان[2]

مما سبق نجد أن الذهب أصبح عنصر جذب رئيس لمجموعات بشرية كبيرة عملت على الوصول إليه وإلى بلاد وادي النيل وشرق السودان بغرض الحصول عليه وعلى ثروات تلك البلاد، والتي قطعاً من أهمها وأندرها الذهب، ولأن أهل السودان عُرفوا عبر التاريخ بحسن استقبالهم لضيوفهم والوافدين إليهم وجدت مجموعات الوافدين إلى السودان كل الترحيب من قبل سكان تلك المناطق في شرق ووسط وغرب البلاد، وقد اندمجت المجموعات الجديدة في المجتمع السوداني وعملت على تشكيل نظم حاكمة يمكن من خلالها إدارة شئونها، كما أسهم انصهار المجموعات الوافدة والمقيمة بصورة كبيرة في تشكل السودان الحالي بمختلف مناطقه واتجاهاته.

الهوامش:

1. صلاح الدين الشامي، السودان دراسة جغرافية، منشأة المعارف، الإسكندرية،(ب.ت)، ص340
2. يوسف فضل حسن، مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامي في السودان الشرقي ،1450–1821م،سودا تك، دار السداد للطباعة، الخرطوم، 2012م ،ص 17.

الفصل الثاني

الذهب في ممالك النوبة القديمة

تُعد ممالك النوبة أو الممالك السودانية القديمة من أكثر الممالك التي عُرف عنها وجود الذهب في أراضيه، وقد عملت منذ قديم الزمان على استغلال هذا المعدن عبر العديد من الطرق والوسائل على الرغم من الصعوبات التي واجهت عمليات الحصول على هذا المعدن النفيس.

وقد شهدت مناطق السودان الشمالي حركة كبرى للتعدين عن الذهب، وتم إنشاء عدد من المناجم في سبيل الحصول على هذا المعدن النفيس، وفي عهد المملكتين المصريتين الوسطى والحديثة أشار أحد فراعنتها وهو (رمسيس الثاني)، من خلال لوحته التي وجدت بجبل البركل (الجبل المقدس) أنه وجد ثمانية مناجم للتنقيب عن الذهب في بلاد النوبة، وتم التعرف على خمسة مناجم من مجموع الثمانية مناجم التي تمت الإشارة إليها، وذلك بسبب التشويه الذي لحق باللوحة، والمناطق هي: جبل (أمو)، وجبل كوش، وصحراء تاستي، وجبل خنت حن نفر، وجبل البركل، وقد ذكر الفرعون رمسيس الثالث أنه أهدى جبل البركل اثنين وستين كيلو جرام من الذهب[1].

تميزت الحضارة الكوشية عبر تاريخها الطويل بوجود كميات كبيرة من الذهب فيها، واسم النوبة نفسه يعني الذهب، وفي فترة الحضارة المروية ظهر الذهب بكميات كبيرة في المناطق الداخلية والجنوبية من المملكة، وفي المناطق الحدودية مع الحبشة ومناطق بني شنقول[2].

وفي عهد حضارة كرمة تمكن حكامها من بسط سيطرتهم على مناجم الذهب في كل من كوبان وصرة شرق، وهما منجمان يطلان على وادي العلاقي بالصحراء الشرقية،

وتمكـن أيضـاً حـكام كرمـة بمسـاعدة بعـض المصريـين وأفـراد مـن قبيلـة (المدجـاي)[3] سـكان الصحـراء الشـرقية مـن تشـغيل هـذه المناجـم، كمـا قامـوا باحتـكار تجـارة الذهـب في وادي النيـل، وبمـرور الوقـت ازدهـرت حركـة التنقيـب عـن الذهـب في المنطقـة الواقعـة بـين النيـل والبحـر الأحمـر، والمتتبـع لتاريـخ الحضـارة المرويـة يجـد أن هـذه الحضـارة قـد امتلكـت كميـات كبيـرة مـن الذهـب، والدليـل علـى ذلـك هدايـا الذهـب الكثيـرة التـي أهداهـا الملـك تهارقـا (664 ق.م) لمعبـد آمـون في الكـوة بشـمال السـودان[4].

شـهدت الفتـرة النبتيـة (حضـارة نبتـة) وجـود كميـات كبيـرة مـن الذهـب علـى امتـداد مناطـق نفـوذ نبتـة، وكان ملـوك تلـك الفتـرة يقومـون بالسـيطرة علـى التنقيـب عـن الذهـب، كمـا أنهـم قامـوا بإهـداء الذهـب الخالـص للمعابـد بكميـات كبيـرة جـداً، فقـد سـجل لـوح الملـك (تهارقـا) أنـه أهـدى معبـد آمـون في الكـوة[5] عشـرين كيلـو جـرام مـن الذهـب الخالـص، وهـذه الكميـة التـي أهداهـا الملـك تهارقـا للمعبـد تـدل علـى غنـى مملكتـه بمعـدن الذهـب وتوافـره فيهـا[6]

والمتتبـع للذهـب في فتـرة الحضـارة المرويـة التـي تعـد مـن أميـز الحضـارات السـودانية يجـد توافـر الذهـب بكميـات كبيـرة، وقـد شـكَّل هـذا المعـدن النفيـس أحـد أهـم صـادرات مـروي للخـارج، ومـن أشـهر وأهـم المقتنيـات الذهبيـة في الحضـارة المرويـة ذهـب الملكـة (أمانـي شـاخيتو)[7]، الـذي يعـرض الآن في متحـف برلـين ومتحـف ميونـخ بألمانيـا[8]

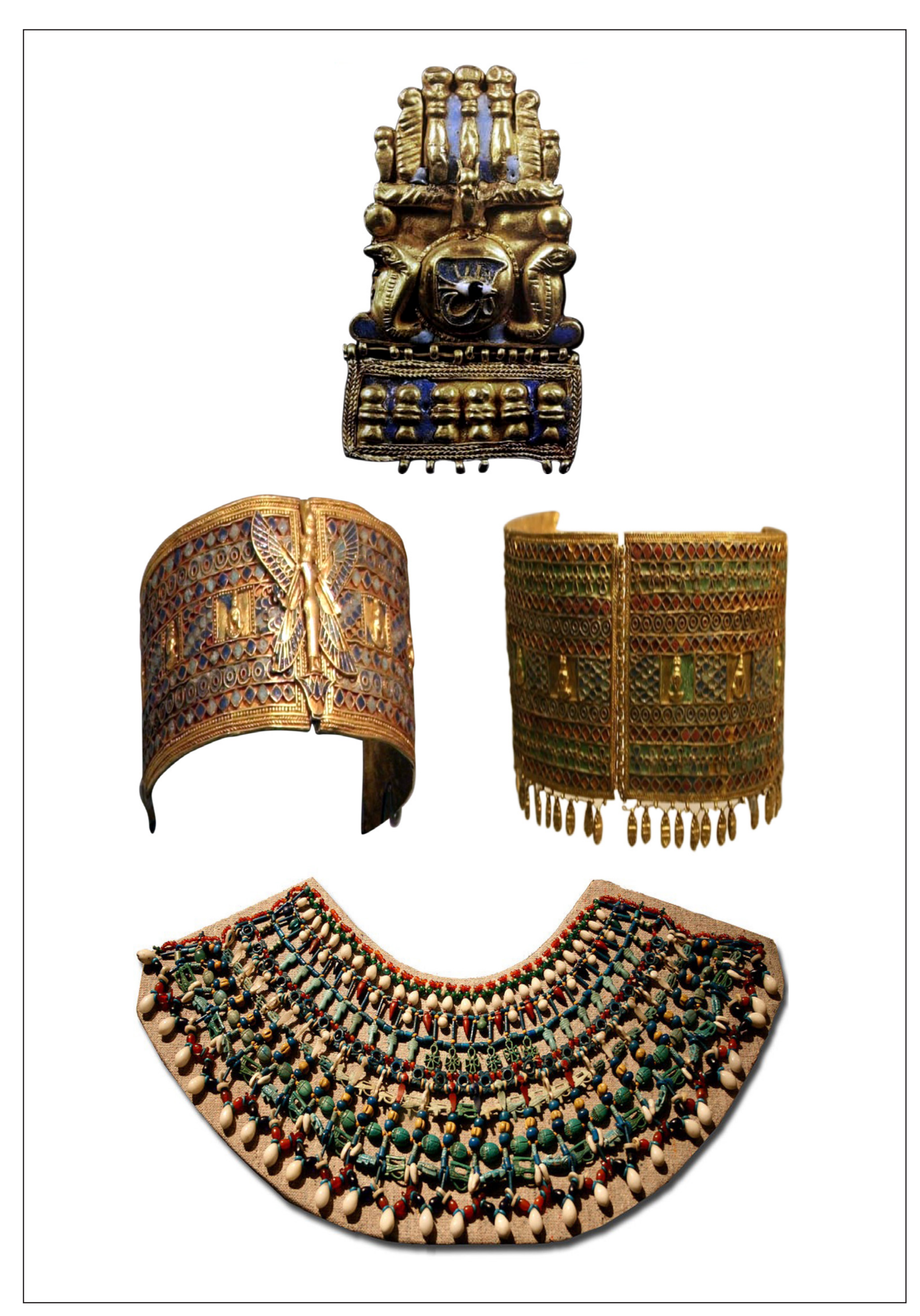
ولكـي يحصـل المغامـر الإيطالـي فيرلينـي Ferline علـى الذهـب الموجـود بأهرامـات البجراويـة، وهـي تضـم أكبـر تجمـع للأهرامـات في العالـم، وتقـع إلـى الشـمال مـن مدينـة شـندي، قـام بهـدم عـدد كبيـر مـن الأهرامـات مـن بينهـا الهـرم رقـم (6) هـرم الملكـة أمانـي شـاخيتو الـذي يُعـد مـن أكبـر الأهرامـات في البجراويـة، وقـد تمـت عمليـة الهـدم والتعدي علـى الأهرامـات السـودانية في البجراويـة في عهـد خورشـيد باشـا الـذي امتـدت حكمداريتـه مـن 1826حتـى 1839م[9].

يمكـن القـول إن فتـرة الحكـم التركـي في السـودان، أو حكـم محمـد علـي باشـا وخلفائـه، كانـت مـن أكثـر الفتـرات سـوءاً علـى الآثـار السـودانية والتاريـخ السـوداني؛ لأن الدولـة لـم تتمكـن مـن حمايـة الآثـار السـودانية، بـل يمكـن القـول إنهـا غضّـت الطـرف أو تعاونـت مـع

المغامرين والباحثين عن الذهب والمقتنيات السودانية بشتى السبل، الأمر الذي أدى في نهاية الأمر إلى تدمير كامل وممنهج للأهرامات السودانية في منطقة البجراوية، ومباني سوبا وكنائسها التاريخية. وعلى الرغم مما لحق بالآثار والحضارة السودانية من تخريب ممنهج في العهد التركي- المصري نجد أن الإنسان السوداني برع في تصنيع الذهب وتشكيله بحرفية عالية جداً، وأصبحت الآثار السودانية بمختلف أنواعها، ومن بينها المصنوعات الذهبية، محل إشادة وانبهار من قبل الخبراء والمختصين والمهتمين الذين شاهدوا هذه المقتنيات في عدد من متاحف العالم مثل: ألمانيا، وفرنسا، وأمريكا وغيرها من الدول الأوربية، كما حوى المتحف القومي الكثير من المقتنيات الذهبية لملوك وملكات سودانيات، الأمر الذي يدل على براعة الإنسان السوداني في الحصول على الذهب وتشكيله ليتوافق مع متطلبات الحياة اليومية والتجارة الداخلية والخارجية.



الملكة أماني شاخيتو



بعض المقتنيات الذهبية للملكة السودانية أماني شاخيتو

الهوامش:

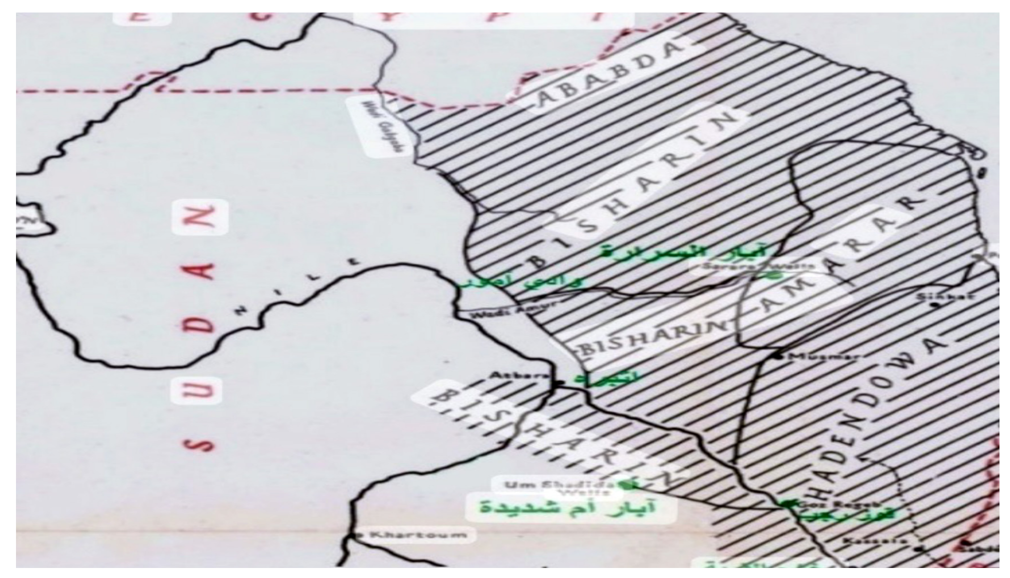
1. عبدالرحمن إبراهيم سعيد علي، التعدين العشوائي للذهب وأثره على المواقع الأثرية (إقليم الشلال الثالث أنموذجاً)، مجلة القُلزم. للدراسات التاريخية والحضارية، مجلة علمية دولية محكمة، العدد الثالث والعشرون، مارس 2023م ، ص61.
2. قوين ويستراي، ذهب شيبون، (ترجمة وتلخيص) بدرالدين حامد الهاشمي، صحيفة الراكوبة، 15 مارس 2016م.
3. المدجاي: يطلق على المجموعات التي استقرت في شمال السودان، وقد كانت مجموعات المدجاي ضمنت القوات التي استعان بها المصريون قديماً كجنود استطلاع وكشافة، وبمرور الوقت زاد دورهم الحربي وأصبحوا يشكلون فرق داخل الجيش.
4. عبدالرحيم محمد خبير، مجلة القلزم للدراسات السياحية والآثارية، العدد السادس عشر، عدد خاص بمناسبة صدور العدد (200) من مجلات القلزم العلمية، ربيع الثاني 1445هـ، أكتوبر 2023م، ص17.
5. عبدالرحمن إبراهيم سعيد علي، مرجع سابق، ص 62.
6. الكوة: يُعد موقع الكوة الأثري الذي يقع بالقرب من مدينة دنقلا في شمال السودان من أهم المواقع الأثرية، وقد بدأت الحفريات والتنقيب الأثري في هذا الموقع منذ العام 1930م، وتضم المدينة الأثرية معبد كل من الملك تهارقا، والملك توت عنخ أمون، انظر، ديرك أ.ولسبي، بمشاركة دانيال انطوني، الكوة، مدينة جماتون الفرعونية والكوشية، تاريخ الموقع وآثاره، (ب.د)، (ب.ت)، ص37، وهي أيضاً مركز ديني يقع على الضفة الشرقية ومواجها لمدينة دنقلا الحالية، وقد تميز موقع الكوة بوجود العديد من المعابد الدينية، انظر صلاح عمر الصادق، دراسات سودانية في الآثار والفلكلور والتاريخ، دار عزة للنشر، 2006م،ص10.
7. أماني شاخيتو: من أشهر الملكات في الحضارة المروية، حكمت مروي قبل العام العاشر للميلاد، خلفت العديد من المقتنيات الذهبية الأثرية.
8. عبدالرحمن إبراهيم سعيد علي، مرجع سابق، ص 62-63.
9. صلاح عمر الصادق ، مرجع سابق، ص 25.

الفصل الثالث

الذهب في شرق السودان

تُعد مناطق شرق السودان منذ قديم الزمان وحتى يومنا هذا من أهم المناطق التي يوجد فيها الذهب بكميات كبيرة، وقد شهدت المنطقة منذ فجر التاريخ حركة مستمرة للبحث والتنقيب عن هذا المعدن النفيس، كما يمكن القول إن الذهب يُعد واحد من عوامل الجذب السكاني والهجرة لمناطق شرق السودان عبر مختلف العصور.

تمتد مناطق شرق السودان أو أرض البجة من حلايب شمالاً وحتى الحدود الإرتيرية جنوباً، ويمكن القول إنها تمتد من بئر شلاتين في مثلث حلايب السوداني وحتى ميناء باضع جنوباً، ومن البحر الأحمر شرقاً وحتى المناطق الشرقية من نهر النيل، وتُعد قبائل البجة من أقدم الشعوب الحامية، وقد استوطنت في مناطق شرق السودان قبل 4000 عام تقريباً، ويمكن القول إن وجود البجة في مناطق شرق السودان قديم وحتى الآن[1].



خريطة توضح امتداد قبائل البجة - المصدر الشبكة العنكبوتية

وُجد الذهب في شرق السودان منذ قديم الزمان، وعُرفت تلك المناطق باسم أرض المعدن، وقد أطلق على صحراء العتمور، التي تقع بين نهر النيل والبحر الأحمر، اسم أرض المعدن، وقد ظهر هذا الاسم في أيام الدولة العباسية[2] وأرض البجة، وشرق السودان، ويدل اسم أرض المعدن على توافر الذهب وغيره من المعادن بتلك المناطق، وقد شجع وجود المعدن النفيس في شرق السودان العديد من القبائل العربية منذ القدم للهجرة إلى شرق السودان عبر البحر الأحمر، ونتيجة لذلك ازدهرت موانئ الساحل السوداني مثل: عيذاب، وسواكن؛ الذي يرجع الفضل في تطوره وزيادة نشاطه التجاري لحركة التنقيب عن الذهب في شرق السودان، وحركة التبادل التجاري عبر الميناء لموانئ أخرى على امتداد البحر الأحمر وخارجه[3].

ومن ضمن الأسباب التي شجعت العرب على عبور بحر القُلزم (البحر الأحمر) ناحية بلاد البجة وشرق السودان هو الحصول على الذهب وتصديره للخارج، فقد ورد في العديد من المصادر والمراجع العربية ذكر الذهب وأماكن تواجده، وقد كتب عن الذهب في شرق السودان كل من اليعقوبي، والمسعودي، والاصطخري، وابن حوقل، وابن الفرات، والقلقشندي، وابن الفقيه، وقد أسهمت هذه الشهرة في هجرة أعداد كبيرة من العرب والعجم لبلاد البجة[4].

كانت عملية استخراج هذا المعدن النفيس تتم عبر حفر الأرض، والبحث عن الذهب بواسطة مجموعات من السودانيين يتم استخدامهم من قبل التجار الذين يجتهدون في الحصول على كميات الذهب المستخرجة من تلك المناطق، وأيضاً هناك مجموعات تبحث عن الذهب في مناطق شرق السودان من غير مجموعات التجار، وبعد استخراج التبر من الأرض تتم عملية السباكة واستخلاص الذهب[5]

والذهب في وادي العلاقي، الذي يبعد عن مدينة أسوان خمسة عشر يوماً، ومن ميناء عيذاب[6] ثلاثة عشر يوماً، وهو من أهم أودية أرض البجة التي يوجد بها الذهب بكميات كبيرة، وقد اعتمدت عليه قبائل البجة من الناحية الاقتصادية، وعندما وفدت قبيلة ربيعة العربية للمنطقة عملت على بسط سيطرتها على المنطقة وإقامة إمارتها الأولى في تلك المناطق، وبالإضافة لقبيلة ربيعة العربية وفدت مجموعات أخرى للمنطقة بغرض البحث عن المعدن النفيس أو هروباً من بطش الحكام[7].

والذهب في السودان وفي حضاراته القديمة عُرف في ثلاث مناطق رئيسة هي:
(1) تلال البحر الأحمر ووادي العلاقي.
(2) نهر النيل، أي مناطق شمال السودان.
(3) منطقة قبقبة التي تقع إلى الشرق من مدينة أبي حمد.

وقد عُرف ذهب وادي العلاقي في النصوص المصرية القديمة بذهب (واوات)، وذهب نهر النيل بذهب (كوش)، والذهب الذي يأتي من منطقة قبقبة وما حولها بذهب (تاسيتي)، وقد ورد ذُكر اسم ذهب تاستي وكوش في الكثير من النصوص المصرية، وبصورة أخص في حوليات الفرعون (تحتمس الثالث)، الذي قام بتسجيل كميات من الذهب ضمن الجزية النوبية[8].

بالإضافة للمواقع التي تمت الإشارة إلى وجود الذهب فيها بكميات كبيرة هناك مناطق أخرى يوجد الذهب فيها أيضاً وهي:

(4) منطقة فازوغلي وبني شنقول على النيل الأزرق.
(5) جبل شيبون في جنوب كردفان.
وقد كان الذهب أهم صادرات السودان في القرن الثامن عشر، وذلك عندما نشطت حركة التجارة بين البلدين[9].

من خلال ما سبق نجد كثرة المواقع التي شهدت حركة تعدين للحصول على الذهب في شرق السودان وشماله، ومناطق كردفان، والنيل الأزرق، كما أن الأسر المصرية الحاكمة في مصر، والمجموعات التي حكمت من بعدها حتى وقتنا الحالي عملت على الحصول على الذهب بعدة طرق والتي من بينها الجزية المفروضة على المناطق التي بسطت سيطرتها عليها في شمال وشرق السودان، أو عبر التجارة، وذلك لأن مصر كانت أقرب الأسواق للممالك السودانية القديمة.

وهناك إشارات لذهب البجة ومناطق السودان الأخرى التي اشتُهرت بوجود الذهب فيها، حيث عُرف السودان منذ القدم بوفرة الذهب، ووجود كميات كبيرة منه، رغم كل ذلك إلا أنه لا يسهم في إنعاش اقتصاد الدولة السودانية، وتُعد منطقة (جبيت) في

شرق السودان من أهم مناطق تعدين الذهب، وكذلك مرتفعات البحر الأحمر، وقد شجع وجود الذهب في هذه المناطق هجرة قبائل ربيعة، والبلي، وجهينة، ومضر، وبني سليم[10].

وقد دلت الكشوف الآثارية في مناطق شرق السودان والصحراء الشرقية على وجود الذهب بكميات كبيرة، وتُعد مدينة (درهيب) في شرق السودان من أهم مراكز التعدين الصحراوي، وهناك العديد من الشواهد الأثرية التي تدل على وجود الذهب في مناطق شرق السودان[11].

طريقة استخرج الذهب من صحراء وادي العلاقي:

يوجد الذهب في وادي العلاقي في الصحراء، وهناك آبار لاستخراج الذهب، ويستخدم الزئبق لاستخلاص الذهب، ونتيجة لازدهار الذهب وطريقة الحصول عليه في وادي العلاقي قامت العديد من الأسواق في تلك الجهات، وقد وجُدت العديد من الشواهد في وادي العلاقي التي تدل على قدم حرفة التعدين في المنطقة، وقد استخدمت المياه العذبة في عملية غسل التبر والحصول على الذهب[12].

الهوامش:

1. عوض عبد الجليل أبوبكر محمد، أمارة قبيلة ربيعة في وادي العلاقي بأرض البجة (132-815هـ/ 750-1412م)، مجلة القُلزم العلمية الدولية المحكمة، العدد الثاني، شوال 1441هـ/يونيو 2020م ، 26-27.
2. محمد سعيد القدال، تاريخ السودان الحديث، (1820-1955م) ط2، مركز عبدالكريم ميرغني، أم درمان، 2002م، ص97.
3. عبد الرحيم محمد خبير، مرجع سابق، ص 17-18.
4. محمد صالح محيي الدين، مشيخة العبدلاب وأثرها في حياة السودان السياسية (910-1236هـ/1504-1821م)، دار الفكر، بيروت، الدار السودانية للكتب، 1972م، ص61.
5. المرجع نفسه، ص 61-62.
6. عيذاب : ميناء سوداني يقع في مثلث حلايب، وهو من أقدم الموانئ على ساحل البحر الأحمر.
7. عوض عبد الجليل، مرجع سابق، ص28.
8. عبدالرحمن إبراهيم سعيد علي، مرجع سابق،ص61.
9. محمد سعيد القدال، تاريخ السودان الحديث، مرجع سابق، ص 97.
10. محمد صالح محي الدين، مرجع سابق، ص 62.
11. عبدالرحمن إبراهيم سعيد علي، مرجع سابق، ص61-62.
12. عوض عبدالجليل، مرجع سابق، ص 28-29.

الفصل الرابع

الذهب في سنار

يُعد الذهب في الدولة السّنارية من أهم المعادن، وقد كان يخضع لسيطرة السلطان وإشرافه المباشر[1]، وتُعد المناطق الجنوبية من الدولة السنارية مناطق الإنتاج الرئيسة للذهب[2] وقد كان الذهب في سنار يخضع لسيطرة ملوك الفونج بصورة تامة، الأمر الذي جعل تجار المملكة يتقربون إليهم بالهدايا بغرض أخذ ما يرغبون فيه من ذهب.

وقد أشار الرحَّالة جيمس بروس، الذي زار سنار في العام 1772م، إلى وجود الذهب فيها بكيمات جيدة على ضفتي النيلين الأزرق والأبيض، و تُعد هذه المناطق من أغنى مناطق الدولة السنارية بالذهب، وهي مناطق إنتاج للمعدن النفيس، وقد أوكلت إدارة مناطق إنتاج الذهب في دولة الفونج لأقرباء الملك وخاصته الذين يثق في ولائهم له[3]. وكان الذهب السناري يُشكَّل في حلقات تزن الحلقة الواحدة ربع أوقية، وكان يصدّر إلى سلطنة الفور، ويندر وجوده في الأسواق، وذلك لاحتكار سلاطين الفور لهذا المعدن.

يتضح من وصف جيمس بروس أن سلاطين الفونج اهتموا بأمر الذهب، وعملوا على الحصول عليه واحتكاره لأنفسهم، وذلك لعدد من الأسباب:

1. يُعد الذهب من أغلى المعادن، ويزداد الطلب عليه من قبل التجار الذين يفدون للدولة السنارية بغرض التجارة.
2. أهمية الذهب في عملية التجارة الداخلية والخارجية، لذلك تم احتكاره من قبل سلاطين الفونج.
3. وجود الذهب خارج سيطرة السلطان في سنار يهدد عرشه ومكانته في الدولة.

4. سيطرة الدولة السنارية على الذهب يمكنها من الحصول على السلع والبضائع التي تحتاجها في أي وقت.
5. وجود الذهب في سنار تحت إدارة السلاطين يسهم في علمية الاستقرار التجاري والاقتصادي، ويدفع التجار من داخل السلطنة وخارجها للحضور إلى سنار.



بعض القطع الذهبية من الدولة السنارية

الهوامش:

1. جاي سبولدنق، عصر البطولة في سنار، تعريب أحمد المعتصم هاشم، هيئة الخرطوم للنشر، 2010م ، ص 112
2. المرجع نفسه ، ص 258.
3. نسيم مقار، الرحّالة الأجانب في السودان (1730–1851م)، مركز الدراسات السودانية ، القاهرة، 1995م، ص12.

الفصل الخامس

الذهب في فازوغلي

يعتبر اقليم النيل الازرق بشكل عام، جزءاً من السافنا؛ حيث أن تربته تتميز يالطين الداكن، ويتصف مناخه بالأمطار الغزيرة في فصلي الصيف والخريف (منذ مطلع شهر مايو حتى نهاية شهر أكتوبر). أما الغطاء النباتي للمنطقة، فيتميز بالأجمات الطويلة لأشجار كبيرة كالأكاسيا والطلح والتبلدي والهجليج والحراز.[1]،و تُعد منطقة فازوغلي التي تقع ضمن نطاق هذا الإقليم أحد أهم مراكز إنتاج الذهب في الدولة السنارية، بل يمكن القول إنها المركز الرئيس فيها، وقد وفدت إليها مجموعات كبيرة من النوبة الذين كانوا يسكنون في مملكة علوة المسيحية بعد سقوطها نتيجة للتحالف الذي تم بين الفونج والعبدلاب[2]، وقد وصفها الرحّالة جيمس بروس حيث قال: فازوغلي منطقة جبيلة، وهي المصدر الرئيس لإنتاج الذهب في سنار، ويوجد في منطقة التربية الحمراء، وللأهالي رأي واضح في ذلك، وهو أينما وُجدت التربة الحمراء وُجد الذهب، كما يوجد الذهب في مجاري الأنهار والأودية بعد هطول الأمطار، وبالقرب من النيل تقل كميات الذهب بحسب شهادة بروس، وللحصول على كميات من الذهب يتم جمع التربة الحمراء التي تحتوي على كميات من الذهب والتي يتم فصلها عن المعدن بواسطة غسلها بالماء، وذكر بروس أيضاً أنه لا توجد مناجم كبيرة لاستخراج الذهب في فازوغلي، ويتم استخدام عدد كبير من العمال للحصول عليه[3].

مما سبق يمكن القول إن سنار تميزت بوجود الذهب بكميات كبيرة تمكنها من تحريك عجلة التجارة على امتداد مناطق نفوذها، وأن تصبح قبلة التجار الباحثين عن الثراء السريع، والمغامرين والمكتشفين الذين سمعوا للحصول على الموارد والثروات التي تتمتع بها الدولة السنارية، وفي الوقت نفسه نجد أن سلاطين الفونج لم يهتموا

بتطوير أدوات ووسائل التنقيب عن الذهب بإدخال وسائل حديثة في عملية التنقيب وفصل التربة عن المعدن، ومرد ذلك أن احتياجات الدولة لم تكن كبيرة في ذلك الوقت، والقليل من الذهب يكفيهم في الحصول على ما يحتاجونه من احتياجات لدولتهم والتي تتمثل في :

- الأسلحة والمعدات الحربية.
- الأقمشة والبضائع والسلع المستوردة من الخارج.
- احتياجات السلطان وحاشيته ووزراء السلطنة.

بعد أن أكمل إسماعيل بن محمد علي باشا سيطرته على العاصمة سنار، ولأن الذهب أحد دوافعه للغزو، توجه جنوباً من سنار نحو سنجة على النيل الأزرق، وهي واحدة من حواضر تلك المناطق، وفي شهر ديسمبر من العام 1821م سلم المك حسن ملك فازوغلي طوعاً واختياراً لإسماعيل، وقد كان تحرك إسماعيل جنوباً نحو فازوغلي بدافع الحصول على أكبر قدر من الذهب[4]. وبعد وصول إسماعيل إلى فازوغلي تمكن من ضمها لحكم محمد علي في يناير من العام 1822م، والهدف من بسط إسماعيل سيطرته على هذه المنطقة زيادة مناطق سيطرته والحصول على الذهب[5]. ومما يؤكد حرص إسماعيل بن محمد علي باشا على الحصول على الذهب من منطقة فازوغلي أنه وبعد بسط سيطرته على سنار اتجه مباشرة نحو فازوغلي وعمل على التنقيب عن الذهب هناك[6]. مكث إسماعيل باشا في فازوغلي ثلاثة عشر يوماً، ثم اتجه بعد ذلك إلى ناحية جبال (القماميل) في جبال بني شنقول، وكان برفقته أخصائي المعادن (مليود) وبعض مفجري الألغام، وكان أهالي تلك المناطق قد قاموا بحفر عدد من الآبار من أجل التنقيب عن الذهب، فقام إسماعيل بملأ جوربين من تراب تلك الآبار وقام بإرسالهم إلى والده في مصر، وذلك بغرض إجراء التجارب على التراب المرسل ومعرفة كميات الذهب التي يحتويها، بعد استلام الباشا للجوربين قرر مباشرة إجراء عمليات التنقيب عن الذهب في السودان، ولاهتمام محمد علي باشا بموضوع الذهب قام بطلب خبير أوربي له دراية ومعرفة بالذهب وكيفية الحصول عليه، وقرر إرسال الخبير المعني للسودان بعد فصل الخريف مباشرة ليعمل مع إسماعيل باشا في الحصول على الذهب، وقد أوضح محمد علي باشا مهمة هذا

الخبير بقوله: (... فيعاين المواضع التي يرجى وجود المعدن فيها ويتبين من حقيقة الحال بمقتضى صنعته. ثم يقرر ما وجده، إن وجد شيئاً أو ما لم يجده. فيقول الكلمة القاطعة...)[7].

أدت الاضطرابات التي شهدتها سنار إلى عودة إسماعيل بن محمد علي باشا مسرعاً للمدينة مما أدى إلى عدم مواصلة مشروعه الرامي لاستكمال عمليات التنقيب والبحث عن الذهب في مناطق فازوغلي، ثم جاءت حادثة مقتله في شندي من قبل المك نمر في أكتوبر من العام 1822م، وبعد ذلك جاءت حملات الدفتردار الانتقامية، كل تلك الأحداث أدت في نهاية الأمر إلى إيقاف عمليات البحث والتنقيب عن الذهب في مناطق بني شنقول وكردفان، بسبب الثورات التي قامت في السودان وعدم توافر الأمن الكافي للقيام بعمليات البحث عن الذهب[8].

بحلول العام 1825م كلَّف محمد علي باشا شخصا يدعى (بروكي) بصحبة شخص آخر يسمى (درويش أغا) ناظر المعادن بالبحث عن المعادن في السودان بصورة عامة والذهب على وجه الخصوص، وقد حضر (بروكي) إلى الخرطوم، لكنه لم يجد أي تعاون من قبل المسئولين هناك، ومكث بالعاصمة حتى 1829م، ولم يتمكن من إنجاز مهمته التي حضر من أجلها، عندها قرر الرجوع إلى القاهرة[9].

وفي عهد خورشيد باشا تم إرسال بعثتين للتنقيب عن الذهب في مناطق بني شنقول، وجاء مع البعثتين خبراء أوربيون، ورغم قضاء البعثتين لمدة ستة أشهر إلا أن النتائج كانت دون الطموح[10].

تحركت البعثة الأولى في العام 1837م، وهي تعد من أكبر البعثات التي تم إرسالها بغرض الحصول على الذهب، تم تجهيز البعثة بعدد من الخبراء، والعمال، والأدوات اللازمة للعمل، وضمت البعثة أيضاً ألفا من قوات الجهادية[11] بغرض الحماية برئاسة اللواء مصطفى بك، يصحبهم مسيو (روسجير)، ومسيو (بورياني) الخبيران الموفدان من قبل محمد علي باشا للسودان، ووصلت البعثة إلى منطقة فازوغلي واجتهدت في الحصول على الذهب، ولكن لم تكن النتائج مرضية، ومن فازوغلي توجهت البعثة نحو سنجة حيث مكثوا فيها ليلة واحدة، ثم تحركوا منها نحو مكان يسمى (زنبو)، ثم إلى

مكان آخر يسمى (تاجاتو)، وأصبح أفراد البعثة يتنقلون من مكان إلى آخر، وذلك بغرض الحصول على نتائج جيدة للحصول على معدن الذهب، ولكن فشلت جميع محاولاتهم رغم إصرارهم على تحقيق النجاح من خلال الحصول على الذهب، وقد تعرضت البعثة لعدد من المصاعب أسهمت في فشلها في نهاية الأمر، منها:

- تعرضهم للهجمات المتكررة من قبل السكان المحليين.
- صعوبة الطريق.
- تقلبات المناخ.

عادت البعثة إلى الخرطوم بعد ستة أشهر من بداية مهمتها، وبعد تحليل العينات التي تحصلوا عليها ثبت فشل مهمتهم في الحصول على الكميات التي كان مخططاً لها من الذهب[12]. ولكي يعمل خورشيد باشا على منع تهريب الذهب السناري للخارج طلب من محمد علي باشا أن يوفر له المال اللازم بغرض شراء الذهب ومنع تهريبه، فما كان من الباشا إلا أن وافق على طلبه، وتم إرسال المال المطلوب للخرطوم[13].

لم يكن محمد علي باشا مقتنعاً بعدم وجود الذهب بكميات تجارية في مناطق فازوغلي وبني شنقول والنيل الأزرق، لذلك نجده قد كلف الحكمدار خورشيد باشا بتجهيز عشرة آلاف عامل، كما كتب لمديري المديريات السودانية بغرض توفير المال اللازم لعمليات التنقيب والبعثات التي يعمل على إرسالها للبحث عن الذهب، كما قرر استخدام المجرمين للعمل في التنقيب عن الذهب في مناطق فازوغلي كجزء من فترة العقوبة المقررة عليهم[14].

نلحظ حرص الباشا الشديد في الحصول على الذهب، وأنه عمل على دفع الكثير من المال في سبيل ذلك، حتى بلغ به الحال إلى استخدام المجرمين من خلال إرسالهم في عمليات البحث والتنقيب عن الذهب، وكل ذلك من أجل أن يتحصل الباشا على الكميات التي كان يخطط للحصول عليها.

الهوامش:

1. وزارة الثقافة و الشباب والرياضة، الهيئة العامة للآثار والمتاحف، (NCAM) ، مشروع تعلية سد الروصيرص وإنقاذ الآثار، مسح استطلاعي، التقرير النهائي: فبراير 2009م.
2. مهدي رزق الله أحمد، السلطنة السنارية ودورها في الحياة الإسلامية السودانية، أبحاث مجلة الدارة، المملكة العربية السعودية، (ب.د)، (ب. ت)، ص 170
3. نسيم مقار، الرحَّالة الأجانب في السودان، مرجع سابق، ص 12-13.
4. محمد فؤاد شكري، الحكم المصري في السودان، مرجع سابق، ص-24 25.
5. ضرار صالح ضرار، تاريخ السودان الحديث، مرجع سابق، ص 40.
6. محمد سعيد القدال، مرجع سابق، ص 98.
7. حمدنا الله مصطفى حسن، التطور الاقتصادي والاجتماعي في السودان (1841-1881م)، دار المعارف، القاهرة ، 1985م، 93-94.
8. المرجع نفسه ، المرجع نفسه، ص94.
9. المرجع نفسه، ص94-95.
10. محمد سعيد القدال، تاريخ السودان الحديث، مرجع سابق، ص 98.
11. قوات الجهادية: هي قوات تم تأسيسها بواسطة محمد علي باشا من بعض القبائل السودانية بغرض تكوين جيش قوي تحت إمرته يسهم به في قمع الثورات التي تقوم ضده، وأيضا تمكنه من استتباب الأمن في جميع الأراضي السودانية، وتعمل على جمع الضرائب التي تفرض على الأهالي.
12. حمدنا الله مصطفى حسن، مرجع سابق، ص95-96.
13. المرجع نفسه، ص96.
14. محمد سعيد القدال، تاريخ السودان الحديث، مرجع سابق، ص 98.

الفصل السادس

الذهب في السودان
في عهد محمد علي باشا وخلفائه

يعلم الجميع أن الذهب وغيره كانت من الأسباب والعوامل المهمة التي دفعت محمد علي باشا لغزو السودان، ويمكن القول إن الباشا وهو في القاهرة كان يستعجل عملية الغزو ويسعى لإنجاحها بشتى الوسائل والسبل المتاحة في ذلك الوقت.

وقد كان طموح محمد علي باشا كبيراً، وهو يسعى لتأسيس إمبراطورية مثل التي قام نابليون بونابرت بتأسيسها في أوربا، مستفيداً من وضع يده وسيطرته على مصر، والشام، والحجاز، والسودان بعد ذلك. وقد كان محمد علي باشا يرغب عبر سيطرته على السودان في السيطرة على الحبشة، ثم يمتد نفوذه نحو البحر الأحمر للسيطرة عليه أيضاً[1].

وعندما تدهورت الأوضاع في سنار، ودخلت الدولة في حالة من الصراعات الداخلية سعى بعض الزعماء المحليين للاستعانة بمحمد علي باشا وذلك بغرض بسط سيطرته ونفوذه على البلاد، ليوقف حالة الصراعات الداخلية التي أصبحت واحدة من أبرز سمات الأيام الأخيرة من عمر دولة الفونج التي استمرت من العام 1504 وحتى العام 1821م، وقد وجدت هذه الدعوات صدًى وترحيباً كبيراً من الباشا الطامح لبسط سيطرته جنوباً نحو الأراضي السودانية الخصبة ذات الموارد والثروات الهائلة، أضف إلى ذلك أن المماليك الذين فروا جنوباً أصبحوا مهدداً رئيسا لاستقرار إمبراطورية محمد علي باشا التي يسعى بكل جد لتثبيت أركانها، كما أن محمد علي باشا كان يتخوف من بسط المماليك سيطرتهم على الأراضي السودانية مستغلين حالة الضعف

والاحتراب التي اجتاحت الممالك السودانية في أواخر القرن السابع عشر الميلادي، وقد أصبحت تلك الممالك تعاني من ضعف واضح يغري أي طامح أو مغامر بالسيطرة عليها[2]. ومما زاد مخاوف محمد على باشا في مصر تجاه السودان ومستقبله، الرحلة الأولى والثانية التي قام بهما القنصل البريطاني في مصر هنري صولت[3] للحبشة، وقد كان الهدف من الرحلة الأولى لهنري صولت، والتي قابل فيها ملك الحبشة إعطاء بريطانيا قاعدة بحرية على البحر الأحمر[4] في منطقة الدناكل[5]، والتي تمكن بريطانيا مستقبلاً من غزو مصر إذا فكرت فرنسا في السيطرة عليها عبر البحر الأبيض المتوسط مرة أخرى، أو إذا وقعت مصر تحت سيطرة دولة قوية عندها سوف تتدخل بريطانيا من قاعدتها في البحر الأحمر لإعادة السيطرة على مصر، وأما الرحلة الثانية فقد كانت من أجل توثيق الروابط الدينية المسيحية بين كل من بريطانيا والحبشة[6].

كانت الحبشة محور اهتمام الإدارة البريطانية، وذلك لموقعها الاستراتيجي وإطلالتها على البحر الأحمر، كما أنها تجاور السودان القطر الغني بثرواته وموارده، والذي يطل أيضاً على البحر الأحمر، لذلك نجد أن بريطانيا لكي تكون قريبة من الأوضاع في مصر سعت إلى التقرب من الحبشة بشتى السبل، وقد أسهمت العلاقات الدينية بين الدولتين في زيادة وتيرة هذا التقارب ،ولأن محمد علي باشا لم يكن يرغب في الدخول في تجربة غير مأمونة العواقب، ولأنه امتاز بالحذر الشديد، فقد قام بإرسال وفد استخباراتي من القاهرة إلى سنار، وتركزت مهمة الوفد، الذي حضر إلى قصر السلطان وهو محملا بالهدايا في العام 1813م، أن يعمل على استطلاع الأوضاع بكل تفاصيلها من حدود الدولة السنارية الشمالية وحتى سنار العاصمة، وقد كان تقرير هذه البعثة واضحاً لمحمد علي باشا ومشجعاً له في الوقت نفسه، وهو إن سنار ماهي إلا لقمة سائغة للباشا يمكن التهامها متى ما فرغ من حربه في الحجاز، ولكي لا يشتت مجهوده الحربي بين الحجاز والسودان عمد الباشا إلى التريث حتى يتمكن من السيطرة على الحجاز أولاً، ثم ينقض بعد ذلك على الدولة السنارية، وبعد أن تأكد محمد علي باشا من تأمين موقفه الحربي والعسكري على جبهات القتال في الحجاز قرر غزو سنار وإسقاطها[7].

وحرصا من الباشا على إكمال سيطرته على السودان قام بإرسال صهره المهندس محمد بك خسرو الدفتردار[8] في مهمة استخباراتية في المنطقة الممتدة بين أسوان ودنقلا التي كانت تحت سيطرة الكشاف[9] في ذلك الوقت، وكانت مهمة الدفتردار تتمثل في الآتي:

- جمع المعلومات عن المماليك ونشاطهم في مناطق الشايقية وجنوبها.
- التعرف على الطريق الذي سوف تسلكه حملة الغزو جنوباً حتى دنقلا[10]

ويمكن القول إن مهمة محمد بك الدفتردار التي أوكلها إليه الباشا قد نجحت بصورة كبيرة، والدليل على ذلك أن الباشا وضع خططه الرامية لغزو السودان على ضوء المعلومات التي قام الدفتردار بجمعها عن المنطقة الواقعة بين أسوان وحتى مناطق الشايقية في شمال السودان، وبالإضافة لتقرير الدفتردار عمل الباشا على جمع العديد من المعلومات عن السودان بمختلف الوسائل، والتي من بينها إرسال وفد لسنار لاستطلاع الأوضاع في المنطقة الواقعة بين أسوان وحتى العاصمة سنار جنوباً، ويمكن القول إن محمد علي باشا قام بكل الاحتياطات اللازمة بغرض بسط سيطرته على السودان.

وإذا نظرنا لمواقف الدفتردار من حملة غزو السودان عموماً وكردفان على وجه الخصوص، نجد أنه قد نجح في بسط سيطرة الباشا على كامل كردفان، وبعد مقتل إسماعيل بن محمد علي باشا نجح الدفتردار في التنكيل بالسودانيين من أجل بسط سيطرة الحكم الجديد.

اكتملت ترتيبات عملية غزو السودان في العام 1820م من قبل محمد علي باشا وابنه إسماعيل باشا وصهره محمد بك خسرو الدفتردار، وقد تم التخطيط والتفكير لعملية الغزو والإعداد لها منذ وقت طويل، وكان محمد علي باشا يرغب من خلال عملية غزو السودان في أن تحقق له النجاح المطلوب، والحصول على كميات كبيرة من الذهب السناري، الذي أصبح حديث الناس في ذلك الوقت[11]، وقد كثر الحديث عن توافر الذهب والحديد في مناطق سنار، وفازوغلي، وجبل شيبون في كردفان، ولذلك زادت رغبة الباشا في الاستفادة من كل هذه الثروات الهائلة التي لم يتم استغلالها

بالصورة المثلى حسب تقديره طوال عهد الممالك الإسلامية التي بسطت سيطرتها على السودان بعد سقوط الممالك المسيحية وهي ممالك: الفونج، والفور، وتقلي، والمسبعات، ومن الواضح أن الحصول على الذهب سوف يسهم في تشجيع حركة التجارة بين السودان ومصر، ويسهم في تطورها بصورة كبيرة، لذلك استكمل محمد علي باشا عملية غزو السودان في العام 1821[12].

كانت مناطق إنتاج الذهب في النيل الأزرق وفي ظل الحكم التركي وطوال الفترة من 1821 وحتى العام 1855م، تشهد تسلطا واضحا من قبل الحكمداريين في الخرطوم، الأمر الذي أدى في النهاية إلى إفقار سكان تلك المناطق، وقد تأثرت قبيلة البرتا[13] وهي واحدة من القبائل التي تقطن مناطق إنتاج الذهب في النيل الأزرق بصورة واضحة بهذه الإجراءات التسلطية، وتحول نفوذهم في مناطق إنتاج الذهب إلى قبيلة الوطاويط [15] الذين سيطروا على المنطقة اقتصادياً[14].

عملت الخديوية المصرية في القاهرة، والحكمداريين في الخرطوم على الاستفادة من مشايخ الطرق الصوفية وزعماء القبائل المحليين في معرفة مناطق وجود المعادن المهمة مثل الذهب والحديد في مختلف ربوع السودان، ومن الذين استعان بهم الحكمدار خالد خسرو الشيخ إدريس ودعدلان المعروف بمك جبال الفونج، وهو من الزعامات المحلية التي تتميز بمكانة كبيرة وسط سكان منطقة النيل الأزرق، وقد كتب خالد خسرو لمدير فازوغلي سليم باشا يطلب منه بذل كل ما في وسعه في سبيل كسب ود الشيخ إدريس ودعدلان، وذلك من أجل ضمه لصف الحكومة والاستفادة من خدماته في مناطق نفوذه، كما استعان خالد خسرو أيضا بكل من الشيخ عبدالقادر ود الزين، والشيخ محمد دفع الله، والشيخ أحمد أبوسن زعيم قبيلة الشكرية، وقد لعب هؤلاء الزعماء أدوارا مهمة في القضاء على الفتن وضم التاكا إلى أملاك الدولة المصرية[15]، وكانوا نعم السند للحكمدار السابق أحمد باشا المنكلي[16].

استفاد محمد علي باشا وخلفاؤه من زعماء القبائل والعشائر في السودان، حيث عملوا على استمالتهم بالهدايا ومنحهم بعض المناصب من أجل العمل معهم في إدارة شؤون السودان، لما يتمتع به هؤلاء الزعماء من مكانة كبيرة وسط قبائلهم ومكوناتهم

المحلية، وقد وافقوا على العمل مع الحكومة الجديدة، وأصبحوا أحد دعاماتها الأساسية في حفظ الأمن والاستقرار، بل عملوا مع الحكومة في إخماد العديد من الثورات التي اندلعت في العديد من المناطق.

الهوامش:

1. ضرر صالح ضرار ، تاريخ السودان الحديث، ط4، مكتبة الحياة، بيروت، 1964م، ص25.
2. الشاطر بصيلي عبد الجليل، معالم تاريخ سودان وادي النيل، من القرن العاشر حتى القرن التاسع عشر، مكتبة الشريف، الخرطوم، 2009، ص149-150.
3. هنري صولت: هو قنصل بريطانيا في مصر في الفترة من (-1815 1827م)، كان شديد الاهتمام بالآثار، كما كانت له علاقات واسعة مع شركة الهند الشرقية، وكان وكيلاً لها في المخا باليمن، انظر الشاطر بصيلي عبد الجليل، مرجع نفسه، ص 150.
4. كانت بريطانيا تخطط منذ احتلالها لمصر في أن تجد لها موطئ قدم على البحر الأحمر، وذلك في ظل التنافس مع فرنسا، ووجود قاعدة بحرية لها على البحر الأحمر من الأراضي الحبشية تمكنها من مراقبة حركة الملاحة في البحر الأحمر وقناة السويس
5. منطقة الدناكل: تقع منطقة الدناكل على امتداد الأراضي الأثيوبية والجيبوتية والإرتيرية بين الصحراء والبحر الأحمر، وتسكن هذه المنطقة قبائل العفر.
6. الشاطر بصيلي عبد الجليل، مرجع سابق، ص 151.
7. ضرار صالح ضرار، مرجع سابق، 26.
8. محمد خسرو بك الدفتردار: هو محمد بك خسرو (الدفتردار) الدارمالي، جندي تركي روميلي، عمل في خدمة محمد علي باشا، جاء من (دارما) في مقدونيا وتربى في (إسطنبول)، وكان يدعى بالأستانلي (الاستنبولي بالعربية)، عيَّنه السلطان العثماني في خدمة محمد علي باشا مديراً للمال وحاملاً لسجل الأراضي الذي يعد مفتاح ضريبة الأطيان، وتزوج من ناظلي هانم ابنة محمد علي باشا، وكسب ثقة الباشا عندما كان محافظاً لصعيد مصر، ونجح الدفتردار في الإشراف على المالية وجمع الضرائب، وكلفه محمد علي باشا بقيادة الحملة الثانية لغزو كردفان، وكلف ابنه إسماعيل باشا بغزو سنار، ارتبط اسم الدفتردار عند السودانيين بعمليات البطش والقتل والتنكيل وذلك بعد ما قام المك نمر مك الجعليين بحرق إسماعيل في شندي، وقام بارتكاب العديد من الفظائع في حق السودانيين طوال فترته في السودان من 1821-1824م، انظر حاتم الصديق محمد أحمد، فظائع الدفتردار في السودان، (1821-1824م)، دار آريثيريا للنشر والتوزيع، الخرطوم، 2023م، ص 29
9. الكشاف: هم حكام المنطقة الواقعة بين دنقلا ووادي حلفا في شمال السودان، والتي لم تخضع لسيادة الدولة السنارية، والكشاف ظهروا كمجموعة حاكمه في شمال السودان نتاج تزاوج المجموعات النوبية مع المجموعات العربية التي وفدت واستقرت في المنطقة
10. الشاطر بصيلي عبدالجليل، مرجع سابق، ص 150.

11. إدوارد روبيل، رحلات في شمال السودان وكردفان وشبه جزيرة سيناء وساحل الحجاز،(خاصة من منظور جغرافي إحصائي)، (ترجمة) ، فادية فضة، حامد فضل الله، دار المصورات، الخرطوم، 2009م ، ص43.
12. محمد فؤاد شكري، الحكم المصري في السودان، -1821 1885م، دار الفكر العربي القاهرة، 1947م، ص 18
13. الوطاويط: تسكن قبيلة الوطاويط منطقة النيل الأزرق ويتحدثون لغة البرتا.
14. جاي سبولدنق، مرجع سابق، ص 259.
15. أحمد باشا أبووادن: هو أحمد باشا جركس عرف باسم (أبو ودان) زار محمد علي باشا السودان في عهده تمكن أبووادن من ضم التاكا وأسس مدينة كسلا، توفي في الخرطوم ودفن فيها، اتصف أحمد باشا جركس بالهمة العالية والنشاط، ويقال أنه كان يلم بكل تفاصيل السودان في فترة حكمه، كما عمل على مد جسور التعاون مع الزعامات المحلية في مناطقهم، وعمل على تقسيم السودان إلى مديريات، لصحراوي عبر صحراء بيوضة إلى ود بشار إلى آبار جقدول إلى المتمة. ثم خطوط، وفي عهده تم استجلاب العديد من أنواع المحاصيل النادرة، والحيوانات الأليفة، وانتعشت التجارة في عهده، وأصبحت العاصمة الخرطوم قبلة للزوار الأجانب من مختلف البقاع، بالإضافة لكل ذلك نجح أبووادن في قمع حركات المعارضة في كل من كردفان والحدود السودانية الحبشية، وتمكن من فتح منطقة التاكا وتأسيس مدينة كسلا التي أصبحت فيما بعد حاضرة للإقليم، توفي أحمد باشا جركس أبووادن في شهر سبتمبر عام 1843م، وخلفه على الحكم في السودان أحمد باشا المنكلي. انظر محمد فؤاد شكري، الحكم المصري في السودان، مرجع سابق، ص36
16. محمد فؤاد شكري، الحكم المصري في السودان ، مرجع سابق، ص 38-39.

الفصل السابع

الذهب في كردفان

يُعد إقليم كردفان من أكثر الأقاليم السودانية الغنية بالموارد بمختلف أنواعها، وقد وُجد الذهب في كردفان في منطقة جبال النوبة بكميات كبيرة منذ أقدم العصور، وعندما سيطرت قوات محمد بك خسرو الدفتردار على كردفان، أخذ يبحث عن الذهب والحديد في تلك الجهات التي تميزت بوفرة مواردها وتعدد مصادرها، وقد عمل الدفتردار عل تنظيم عمليات البحث والتنقيب عن الذهب والحديد تحت إشرافه المباشر ،وأيضاً عمل على تحديد وتصنيف موارد كردفان بصورة علمية تمكنه من الاستفادة منها في مستقبلاً[1]. وقد طلب محمد علي باشا من الدفتردار، أن يعمل على تحديد مناطق الذهب في الإقليم، وأن يجتهد في هذا الأمر، كما طلب منه أن يلم بكافة التفاصيل التي تتعلق بكرفان (...وبما أن بلاد مثل كردفان دخلت بأقل همة في حوزة حكمنا... فلا تتخذوا وسعاً في بذل جواهر رشدكم...على ما هو واجب في شأن الحكم على ناحية أحوالها بضبط أطرافها وربط أكنافها بشأن استنباط ما هو لازم من مناجمها..)[2].

شكَّلت منطقة جبال النوبة المصدر الرئيس لجلب الذهب لسوق مدينة الأبيض[3] في العهد التركي- المصري، وقد كان يتم إحضاره من منطقة جبال النوبة في شكل حلقات أو خواتم، وهو من أجود أنواع الذهب في السودان، وذو عيار جيد ولا يقل في صفائه وجودته عن ذهب البندقية[4] في إيطاليا، وقد كانت نساء كردفان قبل مجيء الغزو التركي- المصري للسودان يلبسن الذهب بغرض الزينة، ولكن الحكم التركي عمل على أخذ جميع مقتنيات الأهالي من الذهب، ولذلك أصبح الذهب عبارة عن سلعة تجارية واختفى لبسه للزينة بين النساء في كردفان، هذا الإجراء جعل العديد

من الأهالي الذين يمتلكون كميات من الذهب يقومون بإخفائه عن أنظار الحكومة لكي لا يتم سلبه منهم بشتى الوسائل، ونجد أن ما حُرمن منه النساء السودانيات من لبس للذهب والتحلي به في كردفان، أصبح مسموحاً به لدى نساء الأتراك في مدينة الأبيض، ونجد أن هذه الحلي قد تميزت ببساطتها وجمالها[5].

ذهب شيبون في كردفان:

شكَّلت منطقة جبل شيبون[6] في منطقة جبال النوبة بجنوب كردفان المحطة الثانية للتنقيب عن الذهب في عهد الخديوية المصرية، وقد ورد في عدد من تقارير الأوربيين الذين زاروا هذه المنطقة وجود الذهب فيها بكميات كبيرة، ومن هؤلاء الأوربيين: براون Brown، وبالم Pallme، وباترك Petherick، وروجسير Rougesir، وقد أجمعوا جميعاً على وجود الذهب في جبل شيبون، وأن أهالي تلك المنطقة لم يعرفوا قيمته الحقيقية، والذين عرفوا قيمته وتاجروا فيه مجموعات من قبيلة الدناقلة التي وصلت للمنطقة، وتمكنوا من تحقيق الكثير من الأرباح نتيجة لمتاجرتهم في هذه السلعة المهمة والغالية الثمن[7].

إذا تمت مقارنة الذهب الذي يستخرج من جبل شيبون بكردفان بالذهب السناري الذي يتم استخراجه من مناطق فازوغلي، نجد أن ذهب جبل شيبون أعلى جودة من الذهب السناري، والسبب في ذلك كثافة الذهب الكردفاني، كما أن الذهب المستخرج من كردفان يكون في شكلين: الأول حبيبات والثاني حلقات، ويفضل التجار والمتعاملون في الذهب الشكل الأول، وذلك تفادياً لعمليات الغش التي كان يقوم بها البعض، وخاصة أن الحلقات يمكن الغش فيها[8].

وجد الذهب المستخرج من جبل شيبون في جبال النوبة بجنوب كردفان اهتماماً كبيراً من الحكمدار خالد خسرو، ولكي يتمكن من الحصول على أكبر كمية من ذهب تلك المناطق قام بتعيين حسن حيدر باشا مسئولاً عن التنقيب عن الذهب في واحدة من أهم مناطق إنتاج الذهب في السودان، وهي منطقة جبل شيبون[9] بجنوب كردفان، وعلى الرغم من المحاولات الجادة والمستمرة للبحث عن الذهب في تلك الجهات إلا أنها أيضاً تعرضت للفشل، وعلى الرغم من الاجتهاد الواضح من قبل محمد علي باشا للحصول على الذهب من السودان إلا أن المتحصل من هذا المعدن النفيس

لم يغطِ تكلفة ما صُرف عليه من أموال، ويمكن القول إن مهمته في الحصول على الذهب من كردفان وجبل شيبون قد فشلت على الرغم من التجهيزات الكبيرة التي تم توفيرها للحصول على المعدن النفيس من تلك الجهات[10].

ورغم كل المحاولات الجادة من قبل محمد علي باشا والحكمداريين الذين تعاقبوا على إدارة السودان في عهده للحصول على الذهب، إلا أن جميع هذه المحاولات باءت بالفشل، ولم تحقق الهدف المرجو منها، وهو الحصول على كميات كبيرة من الذهب.

الهوامش:

1. محمد فؤاد شكري، الحكم المصري في السودان، 1821- 1885م، مرجع سابق، ص 25.
2. محمد سعيد القدال، مرجع سابق، ص97.
3. مدينة الأبيض: تُعد مدينة الأبيض حاضرة إقليم كردفان منذ قديم الزمان، ومن أهم المدن التجارية فيه، كما تميزت المدينة بأنها ملتقى للطرق التجارية الرابطة بين وسط السودان وغربه.
4. مدينة البندقية: تقع مدينة البندقية في شمال إيطاليا وهي مدينة تجارية تميزت بنقاء منتجاتها الذهبية وجودتها.
5. الفريد أدمون بريم، السودان والرحَّالة الألماني بريم، (1847-1852م)،(ترجمة) النور عثمان أبكر، دار مدارك، الخرطوم، 2010م، ص189.
6. شيبون: يقع جبل شيبون من ضمن منطقة جبال النوبة بجنوب كردفان، وهي من المناطق التي اشتهرت بالتعدين منذ قديم الزمان، والذهب المستخرج من هذه المنطقة معروف على ناطق السودان،.
7. حمدنا الله مصطفى حسن، مرجع سابق، ص101-102.
8. إقناتيوس بالما، رحلات في كردفان، (1837- 1839م)، (ترجمة) أرباب موسى بخيت، دار المصورات للنشر، الخرطوم 2019م، ص 191.
9. شيبون: منطقة شيبون واحدة من مناطق البحث والتنقيب عن الذهب بمنطقة جبال النوبة في جنوب كردفان.
10. حمدنا الله مصطفى حسن، مرجع سابق، ص102.

الفصل الثامن

محاولات محمد علي باشا
الحصول على الذهب من السودان

على الرغم من عدم تمكن محمد علي باشا من الحصول على الكميات التي كان يخطط للحصول عليها من الذهب في مناطق السودان المختلفة، إلا أنه لم يتوقف عن عمليات البحث والتنقيب عن المعدن النفيس، واجتهد في ذلك مستخدماً جميع الوسائل المتاحة في ذلك الوقت، كما أنه عمل على الاستعانة بعدد من المهندسين الأوربيين، والمصريين، والروس لتحقيق حلمه وهدفه القديم المتجدد، ألا وهو الحصول على الذهب.

ففي شهر يناير من العام 1848م قرر محمد علي باشا إرسال فريق من المهندسين الروس والمصريين وبعض الأجانب للتنقيب عن الذهب في منطقة النيل الأزرق في السودان، وقد تكونت البعثة من (ب. ي كافاليسكي)، والدكتور(تريمو)، والدكتور (جريما مانوفتش)، وهو مترجم ورسام تربى في فرنسا، وأوكلت مهمة تأمين البعثة وحل المشاكل التي تواجهها إلى يوسف أفندي الشركسي[1].

نلحظ أن محمد علي باشا ومن خلال هذه البعثة اعتمد على فريق متعدد الجنسيات مكون من الروس، والمصريين، وبعض الأوربيين، وغيرهم، بغرض التنقيب عن الذهب والحصول على كميات وفيرة منه بغرض مساعدته في تنفيذ مشاريعه التي يعمل على إنجازها في مصر.

وتحركت البعثة من القاهرة حتى وصلت مناطق الصعيد في جنوب مصر، ومنها إلى مناطق حلفا، ثم دنقلا داخل الأراضي السودانية، وقد واصلت البعثة سيرها

جنوباً إلى مدينة بربر، ثم مدينة شندي، وعندما وصلت البعثة إلى الخرطوم انبهر الجميع بهذه المدينة الأفريقية الجميلة، فقد كانت الخرطوم في العام 1848م من أميز المدن السودانية، وتميزت في ذلك الوقت بالتخطيط الجيد، والشوارع المزينة بالزهور، والحدائق الجميلة التي نمت نتيجة للأمطار التي تتميز بها المدينة كل عام لأنها تقع في منطقة مطيرة، وقد كانت شوارع المدينة تتسم بالاتساع والنظافة، كما أنها وجدت عناية كبيرة من حكامها، وقد بُنيت منازلها بالحجارة، الأمر الذي لفت أنظار البعثة التي حضرت لأول مرة للسودان من أجل البحث عن الذهب[2].

تحركت البعثة من الخرطوم بعد قضاء بعض الوقت إلى مدينة ود مدني، التي تقع إلى الجنوب من الخرطوم على النيل الأزق، ومنها إلى مدينة سنار التي كانت حاضرة الحكم السناري قبل سقوط الدولة في يد محمد علي باشا، ولم تكن سنار بالجمال ولا التخطيط الذي تميزت به مدينة الخرطوم، رغم أنها كانت حاضرة الدولة السنارية في قمة مجدها كما ذكرنا سابقاً، ولكنها الآن أصبحت مدينة طاردة. تحركت البعثة من سنار نحو الرصيرص التي تقع على الضفة الشرقية للنيل الأزرق، وكانت في ذلك الوقت حاضرة منطقة فازوغلي، والناظر للرصيرص يجد أنها مزيج بين القرية والمدينة، وهي للقرية أقرب في ذلك الوقت بحسب رأي أحد أفراد البعثة الذي شاهد المدينة في العام 1848م، وقد بلغ عدد سكان الرصيرص في ذلك العام ثلاثة آلاف شخص، وكان أهلها يعانون من عدم توفر المياه الصالحة للشرب، لذلك تقوم نساء المدينة بجلب المياه على ظهور الحمير مساء كل يوم من مسافة بعيدة[3]، ومن الرصيرص تحركت البعثة نحو منطقة قيسان[4] التي وصلتها في 4 مارس 1848م، وقد اتخذت البعثة من جبال قيسان نقطة التنقيب الأولى عن الذهب في ذلك الإقليم المترامي الأطراف. وقد تم تشييد ورشة التنقيب عن الذهب بالقرب من نهر تومات[5]، وتم وضع عدد من الآلات لاستخراج الذهب وكانت من بينهم آلة مجرية[6]، الصنع، وفي بداية الأمر وجدت البعثة الروسية شواهد تدل على وجود الذهب بين الرمال، وقد كتب أحد أفراد البعثة، ويدعى كافالفسكي، للقنصل الروسي في الخرطوم يخبره بحصولهم على شواهد تؤكد وجود المعدن في مناطق قيسان على النيل الأزرق، وأخبر القنصل أيضاً أنه يرغب في الانتهاء من هذه المهمة في أسرع وقت ممكن والعودة إلى القاهرة في شهر يوليو من العام 1848م[7].

وعلى الرغم من قلة النتائج المبشرة طلب ي. ب كافاليسكي من محمد علي باشا تعمير منطقة قيسان وتسهيل الحركة فيها، لأن النتائج الأولية تقول بوجود الذهب بكميات كبيرة في تلك الجهات، ورغم التمنيات التي كانت تحيط بفريق التنقيب إلا أن محمد علي باشا توفي، بعد بناء ورش التنقيب عن الذهب في فازوغلي ولم يستمر المشروع بنفس ما خطط له[8].

مما سبق، نجد أن البعثة الروسية المصرية الأوربية التي أرسلها محمد علي باشا للحصول على الذهب من منطقة النيل الأزرق في السودان لم توفق في مهمتها وفشلت في الحصول على كميات الذهب التي كان يطمح الباشا في الحصول عليها، وكان هناك عدد من الأسباب التي أسهمت في هذا الفشل، وتتمثل في:

1. ضعف وشح إمكانيات التنقيب في ذلك الوقت.
2. عدم تأقلم بعثات التنقيب على أجواء السودان المتقلبة.
3. صعوبة الحصول على كميات تجارية من الذهب مما يقلل تكلفة عمليات البحث والتنقيب.

الهوامش:

1. أ. ف أنتوشين، ذهب سنار، قصة أول مصنع لاستخلاص الذهب في عهد محمد علي باشا، (ترجمة) وليد محمد طلبه، الطبعة الثانية، أنباء روسيا، 2014م ، ص88.
2. المصدر نفسه، ص 112.
3. المصدر نفسه، ص 117 - 118.
4. قيسان: تقع قيسان في الجزء النوبي الشرقي من منطقة النيل الأزرق في السودان وهي منطقة حدودية مع أثيوبيا.
5. تومات: تقع منطقة تومات عند التقاء نهر عطبرة وستيت.
6. يدل وجود هذه الآلة المجرية ضمن معدات فريق التنقيب عن الذهب في قيسان أن هناك اهتمام واضح بهذه البعثة، والدليل توفير معدات أوربية لمساعدتهم في عمليات التنقيب.
7. أ. ف أنتوشين، مصدر سابق، ص 120.
8. المصدر نفسه، ص 124.

الفصل التاسع

محمد علي باشا في السودان

رحلة محمد علي باشا إلى السودان:

نتيجة للتقارير المتضاربة والتي رفعت لمحمد علي باشا بخصوص الذهب وكمياته وأماكن تواجده في السودان، قرر الباشا القيام برحلته الأولى والأخيرة للسودان بنفسه[1]، وبعد فشل البعثات التي أرسلها الباشا للتنقيب عن الذهب في مناطق فازوغلي وبني شنقول، ورغم اجتهاده في إرسال خبراء التعدين، والكتبة والمحاسبين، والأطباء والمهندسين لتلك المناطق بغرض الحصول على الذهب، رغم كل ذلك فشلت محاولات الباشا في الحصول على ما كان يخطط له، وكانت النتائج غير مرضية ولا تلبي طموحه الكبير وهو الحصول على الذهب السوداني، لذلك قرر محمد علي باشا الذهاب إلى السودان بنفسه في رحلة محفوفة بالمخاطر ومجهولة العواقب[2]، وذلك بعد مضي خمسة عشر عاماً من غزو السودان، فكانت زيارة الباشا إلى السودان من أهم الأحداث في العام 1838م، وتأتي الزيارة للتعرف على البلد المترامي الأطراف، والذي يذخر بالموارد والثروات، ولذلك تحرك محمد علي باشا ليرى بأم عينيه ما تحدثت عنه التقارير العلنية والسرية عن السودان وموارده وثرواته الموجودة في باطن الأرض وخارجها، ونجد أن هذه الزيارة كانت مهمة وضرورية لمحمد علي باشا، وذلك لأن الباشا عمل بصورة جادة لإحداث طفرة عمرانية واقتصادية في مصر الأمر الذي كلفه الكثير من المال والجهد، ولقد فطن القناصل الأوربيون لهذه الرحلة المهمة، وذكر البعض منهم أن السبب الرئيس والدافع الفعلي لها يتمثل في الحصول على الذهب السوداني، لكي يأمن جانب السلطان العثماني، ويقوم بقمع أي مهدد عسكري على عرشه، كما أن رحلة محمد علي باشا إلى السودان وجدت اهتماماً كبيراً من قبل قناصل الدول الأوربية في القاهرة، وقاموا بكتابة عدد من التقاريرعن فكرة الرحلة



ومراحلها لدولهم، وقد استمرت رحلة الباشا إلى السودان لمدة خمسة أشهر، وتم نشرها في صحيفة الرحلة إلى السودان[3].

وقال محمد علي باشا عن رحلته إلى السودان (... ولعمري إن الناس القاطنين في أراضي السودان الواسعة المعروفة عند من رآها خالون من العلم وعارون عن معرفة النفع والضرر فصارعوا الوحوش حالة ومع هذا فإنه لم يتفق لهم في كل الزمان الذي عاشوا فيه حتى الآن أن يحظوا بمرب ما ولا أدركوا أسباب المعيشة اللازمة والصنائع والحرف...)[4].

أعجب محمد علي باشا بالأراضي الخصبة والواسعة التي يتمتع بها السودان، ولكن في الوقت نفسه تحسر على عدم تطور أهل هذه البلاد، كما لاحظ حوجتهم للتعليم، لأن بقاؤهم بهذه الحالة من الجهل سوف يضعهم في مصاف الأمم المتخلفة، وأنهم أيضاً يحتاجون لمن يأخذ بأيديهم نحو التطور والرفاهية من خلال تعلمهم لعدد من الحرف والصناعات.

كان محمد علي باشا يرغب في مشاهدة البلاد التي تم غزوها والسيطرة عليها بالحديد والنار، كما كان يرغب في الوقوف بنفسه على مناجم الذهب في السودان[5].

كان الاعتقاد عند محمد علي باشا أن الذهب يوجد في السودان بكميات كبيرة منذ أن فكر في غزوه، وبعد اشتداد الضائقة المالية في مصر في العام 1838م، وتوتر علاقته بالسلطان العثماني محمود الثاني، عندها قرر الذهاب إلى السودان، وكان يحدوه الأمل في الحصول على كميات كبيرة من الذهب، وتأتي سفنه محملة بالمعدن النفيس، ومما زاد طموح الباشا تقرير المُعدّن النمساوي (روسجير) الذي رفعه لمحمد علي باشا وأشار فيه لوجود الذهب بكميات كبيرة في السودان[6]، وقد أوضح محمد علي باشا أسباب رحلته إلى السودان حيث قال: إنه يرغب في الحصول على الذهب من خلال هذه الرحلة (...إذا ما رجعت من فازوغلي بمركب محمل بالذهب فسوف أقضي على كل منازعاتي وفق رغباتي دون معونة أحد، لأنه إذا وجد المال لا يُعدم الإنسان الأصدقاء والجيوش التي تسهل الاتفاق...)[7].

عمل الباشا على الاعداد لرحلته بصورة جيدة، واصطحب معه عددا من المهندسين والعمال الذين يحتاجهم في عملية البحث والتنقيب عن الذهب في السودان، وبلغ عدد العمال الذين تم استخدامهم في عمليات التنقيب في فازوغلي أربعة آلاف، نجح الشيخ إدريس ودعدلان المعروف بمك جبال الفونج في جمعهم عبر أجرة شهرية تدفع لهم، كما وعد الشيخ إدريس ودعدلان محمد علي باشا بأنه سوف يقوم بالاتصال بالأهالي في مناطق بني شنقول وجبل (القماميل) وهو واحد من الجبال التي اشتهرت بوجود الذهب فيها بغرض إقناعهم بالدخول في طاعة الحكومة، وأن يشتركوا أيضاً في عمليات التنقيب عن الذهب في مناطقهم[8].

من الواضح أن هناك العديد من الأسباب والعوامل التي جعلت من محمد علي باشا يهتم بأمر الذهب في السودان، والتي منها الحاجة لتوفير المال لتمويل المشاريع الكبيرة والطموحة التي أقدم عليها الباشا على إنشائها في مصر، كما كان يرغب في الحصول على الاستقلال التام عن السلطان العثماني، وذلك من خلال دفع ما عليه من ضرائب للباب العالي، وقد ذكر الباشا أن الذهب مهم بالنسبة إليه.

في الفترة من 15 اكتوبر 1838– 14 مارس 1839 قام محمد علي باشا بزيارته التاريخية إلى السودان، حيث كان في السبعين من عمره في ذلك الوقت، وتحمل الكثير من المصاعب لإنجاز هذه الرحلة، كما أنه كاد أن يموت غرقا في النيل بسبب الكسر الذي أصاب سفينته[9].

خط سير الرحلة:

تم الإعداد للرحلة بصورة جيدة وأصدر أوامره لبدء الإبحار جنوباً ناحية فازوغلي عبر المراكب تحت قيادة خير الدين بك، كما قام بتعين شخص يدعى بورياني برتبة رائدا مرافقاً للرحلة بمرتب شهري قدره ثلاثة آلاف قرش، مع المؤن كافيه له، ووعده الباشا بترقيته لرتبة بك عند ظهور البوادر المبشرة للذهب في فازوغلي[10].

بعد اكتمال التجهيزات للرحلة تحركت ثلاث ذهبيات[11] –مراكب– كبيرة تحت قيادة سليم قبطان ومساعده برتبة يدعى أحمد قبطان سويدي الجنسية من أسطول محمد علي باشا اعتنق الإسلام وغير اسمه إلى أحمد، ومعهم نقيب بحري يدعى فيض لله قبطان تلقى تعليمة في إنجلترا، ومهمة هذه البعثة اكتشاف منابع النيل الأبيض [12]

بعد ذلك تحرك الباشا من القاهرة قاصداً السودان في رحلته التي استغرقت خمس أشهر وأربعة أيام، مروراً بعدد من المناطق حتى وصل إلى صعيد مصر، فقد مر بمناطق المنيا، وأسوان، وكرسكو، وغيرها من المناطق، وقد تمكن الباشا من خلال هذه الرحلة من مشاهدة ما يحدث في صعيد مصر، ويراقب حركة الزراعة والمجتمع، الأمر الذي جعله يقوم بإصدار عدد من الأوامر والتوجيهات الباشوية التي كان يهدف من خلالها إلى تنظيم الإدارة والشئون العامة في تلك المناطق، وعند دخوله للأراضي السودانية في وادي حلفا، تحرك منها جنوباً ناحية مناطق عبكة وأم بكول بالقرب من

دنقلا، وقد واجه الباشا ومرافقيه العديد من المصاعب في عرض نهر النيل جنوب دنقلا العجوز، وقد شارف قارب الباشا على الغرق في منطقة الشلال الثالث منطقة (كجبار)[13].

اصطحب محمد علي باشا في رحلته كل من توستزا القنصل العام، لموريا الفرنسية والذي كتب لحكومته قبل التحرك إلى السودان أن محمد علي باشا ينوي ضرب عملات معنية تحمل اسمه على جانب، وعلى الجانب الآخر اسم فازوغلي، وصحب محمد علي باشا أيضا في رحلته شخص يدعى لامبرت Lambart، والذي كان من المقربين لمحمد علي باشا، وأيضا رياضي فرنسي برتبة عقيد، وقيتاني بك طبيب محمد علي باشا الخاص، ورستم ويعقوب بك سكرتارية محمد علي باشا، وخسرو أفندي واستيفان المترجمين الذين اصطحبا محمد علي في رحلته إلى السودان، وعدد من الموظفين والمعاونين للرحلة[14].

محمد علي باشا في الخرطوم:

من قرية أم بكول[15] تحرك ركب الباشا عبر صحراء بيوضة حتى الخرطوم، التي وصلها في 6 نوفمبر 1838م، وفي الخرطوم قابل محمد علي باشا زعماء القبائل السودانية، وقد حثهم على التعاون والعمل مع الحكومة بغرض رفعة وتطور السودان حيث قال لهم: (...إنكم إن اتبعتم ما يفعلونه الآخرون فسوف ترفعون من المستوى الذي أنتم فيه إلى مستوى الأقطار الأخرى...)، وقد استغرقت رحلة الباشا من أم بكول حتى الخرطوم ستة أيام ونصف، وأما المراكب التي كانت مع الباشا في أم بكول فقد وصلت الخرطوم في ثلاثين يوماً، الأمر الذي يؤكد صعوبة السفر عبر النيل في ذلك الوقت[16].

وقد وصف أحد مرافقي محمد علي باشا الخرطوم عند زيارتهم لها في العام 1838م، حيث قال: الخرطوم هي العاصمة، وتقع على خط 16 درجة عرض، وتبعد عن مجرى النيل مسافة فرسخ أي ما يعادل خمس كيلو مترات ونصف، وقد كانت قبل خمسة عشر عاماً عبارة عن أكواخ متناثرة، وعندما أعجب الحكمدار خورشيد باشا بمكان الخرطوم الحالي بين مقرن النيلين وجماله، طلب من بعض الأسر في سنار وبعض

المجموعات العربية في الصحراء القريبة من المكان القدوم إلى المكان الجديد والسكن فيه، وبذلك ظهرت مدينة الخرطوم إلى حيز الوجود وأصبح بها أكثر من خمسمائة منزل بنيت بطريقة نظامية، وتم إنشاء مستشفى وعدد من مخازن الغلال في المدينة، كما ظهرت الحدائق الغناء التي احتوت على مختلف أنواع الفاكهة من بينها التين والعنب[17].

وبعد وصول المراكب إلى الخرطوم، والتي تأخر وصولها بسبب الجنادل في النيل، تحرك الوفد من الخرطوم جنوباً نحو مدينة ود مدني التي وصله في ديسمبر 1838م، والتقى به هناك الشيخ الريح شيخ قرية طيبة التي تقع بالقرب من ود مدني ، وطلب من الباشا أن يعفيه وأهل قريته من الرائب التي فرضتها الحكومة عليهم، وقد وافاق محمد على باشا على طلبه [18]، ومنها إلى سنار حتى الرصيرص، وبعد وصول الباشا ومرافقيه إلى منطقة الرصيرص مكث بها خمسة عشر يوماً ومنها تحرك بعد ذلك جنوباً ناحية فازوغلي([19]).

وصل محمد علي باشا إلى فازوغلي ونزل في قرية (فامكا) على النيل الأزرق في 14 يناير 1839م. صحب محمد علي باشا في رحلته لمناطق فازوغلي الحكمدار أحمد باشا (أبوودان)[20]، ومن فامكا قام الباشا بإرسال ثلاثة من خبراء المعادن هم: بورياني الإيطالي، ولمبير، وأحمد يوسف الجشنجي إلى نواحي منطقة (فاسُنغارو) وبني شنقول بغرض البحث عن الذهب، وبعد تجارب عدة قرروا أنهم تحصلوا على دليل يشير بوجود الذهب، الأمر الذي شجع محمد علي باشا للانتقال بنفسه لتلك الجهات لمعاينة الأمر على الواقع، وبعد عدة تجارب لم يتمكنوا من الحصول على الكميات التي يطمح الباشا في الحصول عليها[21]. مكث محمد علي باشا في جهات فازوغلي واحداً وعشرين يوماً، فقد وصلها في 28 شوال/ 1254هـ/ 14 يناير 1839م،وغادرها متجهاً جنوباً نحو المناطق المتوقع فيها الحصول على الذهب في 19 ذي القعدة / 3 فبراير 1839م[22].

الهوامش:

1. حمدنا الله مصطفى حسن، مرجع سابق، ص98.
2. محمد سعيد القدال، تاريخ السودان الحديث، مرجع سابق، ص 98.
3. محمد فؤاد شكري، مصر والسيادة على السودان (الوضع التاريخي للمسألة)، دار الفكر العربي، القاهرة (ب. ت)، ص 19.
4. محمد فؤاد شكري، الحكم المصري في السودان، مرجع سابق، ص 33.
5. نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان، مصدر سابق، ص 520-521.
6. الأمين محمد سعيد، سياسة محمد علي في السودان، (1235-1264هـ/ 1820-1848م)، (ب. د)،2016م ص 39.
7. محمد سعيد القدال، تاريخ السودان الحديث، مرجع سابق، ص 97.
8. حمدنا الله مصطفى حسن، مرجع سابق، ص-98 99.
9. محمد سعيد القدال، تاريخ السودان الحديث، ص 99.
10. خوجلي أحمد صديق، نظم الحكم في السودان في الفترة من 1820-1885م، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1987م ص 38-39.
11. الذهبيات: هي عبارة عن مراكب مصنوعة من الخشب مزودة بالأشرعة وهي أقل حجماً من المراكب الشراعية ، تحتوى الذهبية على عدد من الغرف يمكن أن يصل عددها إلى أربعة عشر غرفة، انظر فتح الرحمن محمد الأمين العراقي، سياحة الذهبيات بين مصر والسودان مشروع تنموي مشترك في السياحة البيئية، مجلة القُلزم العلمية للدراسات الآثارية والسياحية، العدد التاسع، شوال 1444هـ/ مايو2023م، ص118.
12. رتشارد هل، على تخوم العالم الإسلامي، مرجع سابق، ص 104.
13. حسن أحمد إبراهيم، رحلة محمد علي باشا للسودان ، ط3، دار آريثيريا للنشر والتوزيع، 2023م، ص12.
14. رتشارد هل ، مرجع سابق، ص 104-105.
15. أم بكول: قرية تقع في الولاية الشمالية شمال السودان، تحديداً غرب كورتي وهي إحدى قرى قبيلة الشايقية يمر عبرها الطريق الصحراوي إلى وادي بشارة، وهي إحدى قرى منطقة الصلوعاب، في منطقة المتمة، ومازالت القرية تحمل الاسم نفسه (وادي بشارة).
16. ضرار صلح ضرار ، تاريخ السودان الحديث، مرجع سابق، ص 67
17. سليمان كشه، تأسيس مدينة الخرطوم والمهدية، (ب.ت)،(ب.د)،ص34.
18. رتشارد هل، مرجع سابق، ص104.
19. حمدنا الله مصطفى حسن، مرجع سابق، ص98.

20. أحمد باشا أبوودان: هو أحمد باشا جركس عرف باسم (أبو ودان) زار محمد علي باشا السودان في عهده تمكن أبوودان من ضم التاكا وأسس مدينة كسلا، توفي في الخرطوم ودفن فيها، اتصف أحمد باشا جركس بالهمة العالية والنشاط، ويقال أنه كان يلم بكل تفاصيل السودان في فترة حكمه، كما عمل على مد جسور التعاون مع الزعامات المحلية في مناطقهم، وعمل على تقسيم السودان إلى مديريات، لصحراوي عبر صحراء بيوضة إلى ود بشار إلى آبار جقدول إلى المتمة. ثم خطوط، وفي عهده تم استجلاب العديد من أنواع المحاصيل النادرة، والحيوانات الأليفة، وانتعشت التجارة في عهده، وأصبحت العاصمة الخرطوم قبلة للزوار الأجانب من مختلف البقاع، بالإضافة لكل ذلك نجح أبوودان في قمع حركات المعارضة في كل من كردفان والحدود السودانية الحبشية، وتمكن من فتح منطقة التاكا وتأسيس مدينة كسلا التي أصبحت فيما بعد حاضرة للإقليم، توفي أحمد باشا جركس أبوودان في شهر سبتمبر عام 1843م، وخلفه على الحكم في السودان أحمد باشا المنكلي. انظر محمد فؤاد شكري، الحكم المصري في السودان، مرجع سابق، ص36.
21. حسن أحمد إبراهيم، مرجع سابق، ص 14.
22. محمد فؤاد شكري ، مرجع سابق، ص37.

الفصل العاشر

مدينة محمد علي في السودان

موقع مدينة الذهب محمد علي:

غادر محمد علي باشا فازوغلي متجهاً نحو منطقة خور الذهب الواقع في مواجهة قرية كشنكر[1]، وعمل على إقامة المباني اللازمة للحصول على الذهب، لأن الحصول على المعدن النفيس يحتاج للكثير من الجهد. قرر محمد علي باشا استخدام الآلات الميكانيكية المتوافرة في ذلك الوقت، وعمل الباشا على الاستعانة بعشرين مهندساً من أجل الحصول على الذهب ومنحهم مرتبات مجزية [2].

تقع مدينة محمد علي باشا أو مدينة الذهب على الضفة الغربية للنيل الأزرق وجنوب مدينة فازوغلي و فامكا، وقد أعجب محمد علي باشا بموقع المدينة المميز، حيث أمر بضرب خيامه في محلها، وأمر كذلك المهندس (دارنود) Darnud أن يبنى له بها قصراً، كما طلب أن يقيم المهندسون بيوتهم بجوار القصر، بالإضافة إلى إنشاء سكنات لإقامة الجنود. وبهذه الإجراءات الصارمة والسريعة والجادة ظهرت مدينة محمد علي باشا (مدينة الذهب) لحيز الوجود، وقد لعب أفراد الجيش الذين رافقوا البعثة دوراً مهماً في هذا الظهور، وتُعد هذه المدينة، من حيث طبيعة تأسيسها وشكل بنائها، مدينة عسكرية عمالية مركزية، تنطلق منها بعثات التنقيب عن الذهب مستقبلاً لمناطق النيل الأزرق المختلفة، كما اشتملت على سكنات للجند، ومنازل مميزة للمهندسين، وبيوت للعمال الذين يعملون في عمليات البحث والتنقيب عن الذهب، وهنالك أمر مهم، وهو أن محمد علي باشا عمل على تخليد اسمه في مناطق النيل الأزرق على وجه الخصوص، والسودان بصورة عامة، لذلك نجده قد عمد إلى إطلاق اسمه على هذه المدينة، وكان يهدف أيضاً إلى زيادة عمران المدينة، وأن يصبح اسمه على ألسنة الناس[3].

أهم مرافق المدينة:

ضمت مدينة محمد علي باشا أو مدينة الذهب، قصر محمد علي باشا الخاص، ومنازل ومخازن للذخيرة تم تشيدها بالقرب من القصر، كما اشتملت المدينة على مستشفى وسكنات للجند، وفي وقت وجيز ظهرت لحيز الوجود مدينة جديدة [4].

والمتتبع لجغرافية المدينة الجديدة يجد أنها تحازي خور الذهب الذي يقع في مواجهة قرية (كشنكر)، وهي واحدة من قرى منطقة فازوغلي، وتسكن مجموعات من قبيلة (البرتا) في المنطقة التي تم التشاور مع زعمائهم للسكن في المدينة الجديدة[5]، وشيدت مباني المدينة بشكل جيد، وتم إسكان عشرين مهندساً داخل المدينة، ومُنح كل واحد منهم مائة فدان من الأرض الزراعية، ويهدف محمد علي باشا من هذه العطايا إلى استقرار المهندسين والعمال، ووفر لهم جميع الأدوات الحديثة في ذلك الوقت بغرض استخراج الذهب، كما وعد محمد علي باشا الزعماء المحليين بتوفير كسوة ومقدار تسعة أرباع من الذرة سنوياً لألف وخمسمائة أسرة من السكان المحليين تختار العمل والسكن داخل المدينة، كما نجد أن محمد علي باشا لكي ينجح مشروعه القائم على البحث عن الذهب، وتزدهر مدينته الوليدة أنه قام بتقديم العديد من الإغراءات والتسهيلات للمهندسين والعمال الذين انحصرت مهمتهم في استخراج الذهب، وكذلك للأهالي الذين يمثلون العمود الفقري في عملية البحث والتنقيب اليدوي عن الذهب. لم تجد المدينة حظها من الازدهار والشهرة كسائر المدن السودانية التي ظهرت في فترة الحكم التركي المصري في السودان[6]. وفي منطقة (فاشنغارو) بالقرب من فازوغلي خطب محمد علي باشا في أعيان المنطقة، وأمَّنهم على أرواحهم وممتلكاتهم، وأكد لهم حرص الحكومة على حمايتهم ضد الهجمات التي ظلوا يتعرضون لها من قبل الأحباش، وحثَّهم على استغلال مواردهم وثرواتهم، وأيضاً أن يعملوا على تعليم أبنائهم بغرض مواكبة العالم المتحضر والمتقدم[7].

وقال لهم محمد علي باشا: (... لا جدال أن كل شعب من الشعوب يمر في دور الطفولة الذي تمرون به الآن، ولكن عناية المولى جل شأنه تبعث إلى كل أمة مصلحاً يسير بها

قدماً في طريق الرقي والحضارة، وقد كان من حظي أن يقع عليَّ الاختيار لأداء هذا الواجب النبيل نحوكم...)[8].

استخدمت الصخور المحلية مع الطوب الأحمر في بناء المدينة، والمدينة ذات شكل دائري ، أما المنازل الداخلية فكانت بأشكال هندسية مختلف للتوافق مع عمليات التنقيب عن الذهب، والملاحظ بحسب تقرير مسح المواقع الأثرية التي تم اكتشافها بواسطة لجنة جمع وتوثيق تاريخ تراث السلطنة الزرقاء والفريق الآثاري الذي كتب في شهري مارس/ أبريل 2005م، أن هناك العديد من حجارة الرحي التي يرجح أنها استخدمت في طحن الصخور التي تحتوي على معدن الذهب ، وقد اقترح لفريق الأثري إجراء المزيد من الدراسات حول المدينة ، وطريقة البحث عن الذهب فيها[9].

على الرغم من ارتباط نشأة وقيام مدينة محمد على باشا مدينة الذهب بمحمد علي وزيارته للسودان، إلا أن هذه المدينة لم تجد حظها من الشهرة والتوثيق كمثيلاتها من المدن التي قامت وتطورت في عهد محمد علي وخلفائه في السودان، وضرب المدينة الإهمال والنسيان، والتخريب المتعمد من قبل الباحثين عن الذهب في تلك المناطق على الرغم من أهمية المدينة الآثارية، والتاريخية، والحضارية.



صورة حديثة لمدينة محمد علي باشا - نوفمبر 2023م ، المصدر علي إحمد إبراهيم وآخرون



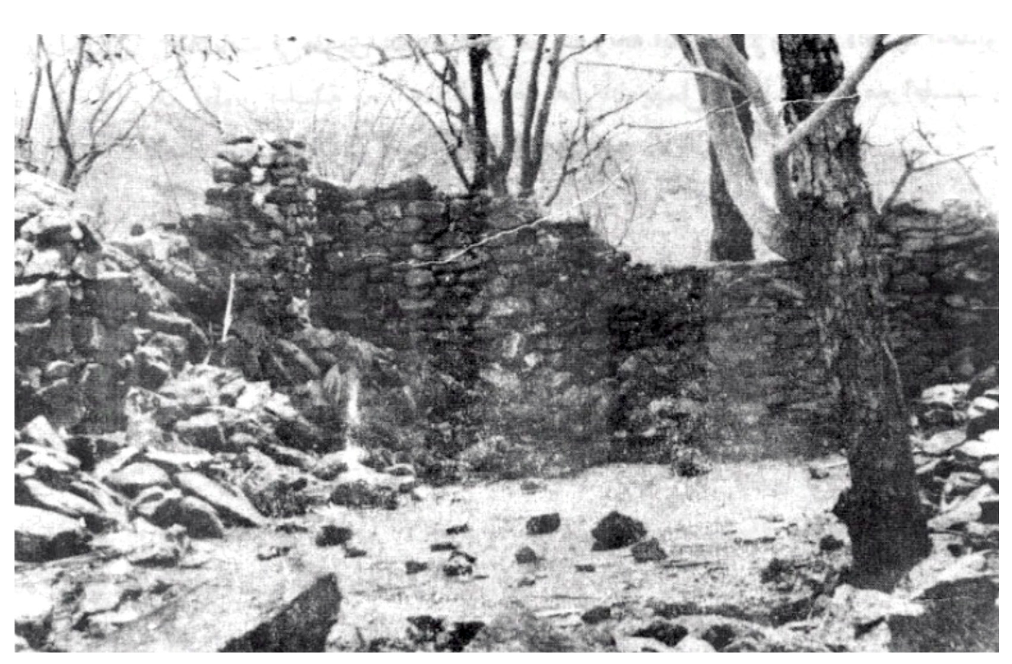
صورة حديثة لمدينة محمد علي باشا – نوفمبر 2023م ، المصدر علي إحمد إبراهيم وآخرون



صورة حديثة لمدينة محمد علي باشا – نوفمبر 2023م ، المصدر علي إحمد إبراهيم وآخرون



صورة حديثة لمدينة محمد علي باشا - نوفمبر 2023م ، المصدر علي إحمد إبراهيم وآخرون



صورة قديمة لبقايا السطحية لمدينة محمد علي باشا في النيل الأزرق،
المصدر: حسن أحمد إبراهيم، بريل 1980م



صورة قديمة لبقايا السطحية لمدينة محمد علي باشا في النيل الأزرق،
المصدر: حسن أحمد إبراهيم، بريل 1980م

الهوامش:

1. كشنكر: قرية تقع على النيل الأزرق جنوب مدينة فازوغلي.
2. حسن أحمد إبراهيم، مرجع سابق، ص 14.
3. حمدنا الله مصطفى حسن ، التطور الاقتصادي والاجتماعي في السودان ، 1841–1881م، دار المعار ف القاهرة ، 1985م، ص31.
4. مكي شبيكة، السودان عبر القرون، دار الجيل بيروت،1991م، ص 135.
5. جاي سبولدنج، مرجع سابق، ص 258.
6. حمدنا الله مصطفى ، مرجع سابق، ص 99.
7. محمد فؤاد شكري، مصر والسودان تاريخ وحدة وادي النيل في القرن التاسع عشر، شركة الأمل للطباعة، 2014م، القاهرة، ص17.
8. محمد فؤاد شكري، الحكم المصري في السودان، –1821 1885م، مرجع سابق، ص 33.

الفصل الحادي عشر

أهداف رحلة محمد علي باشا إلى السودان

ذكر الأستاذ الدكتور حسن أحمد إبراهيم في كتابه الموسوم ب«رحلة محمد علي باشا إلى السودان»، أن رحلة الباشا كانت تهدف إلى تحقيق عدد من المقاصد والأهداف، منها :

- التنقيب عن الذهب في مناطق فازوغلي، وهو من أهم أسباب رحلة الباشا إلى السودان.
- التنقيب عن المعادن الأخرى مثل الحديد، وهو مهم أيضاً للباشا لأنه يدخل في العديد من الصناعات الحديثة.
- استغلال موارد السودان وتطوير المحاصيل الزراعية بغرض تصديرها إلى مصر.

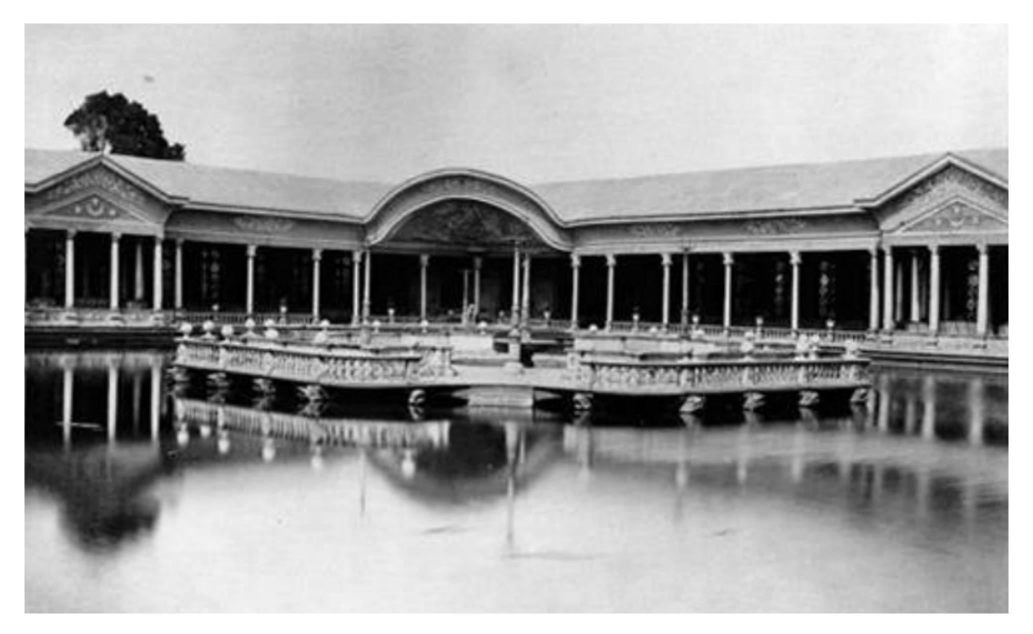
وقد أكد تقرير رحلة محمد علي باشا إلى السودان الأهداف الحقيقية من الرحلة، حيث جاء في القرير (... ويتضح من هذا أن معدن الذهب موجود بالفعل في هذه البلاد، ولهذا اعتزم جنابنا العالي زيارة السودان لما في هذه السياحة من مبررات حسنة، وقرر الوصول إلى معرفة حقيقة هذا التبر...)[1].

يتضح مما سبق ذكره أن الذهب وموارد السودان الكثيرة والمتعددة كانت هي والدافع والمحرك الرئيس لمحمد علي باشا لزيارة السودان، وما يدل على ذلك أن الباشا، وهو في سن الواحد والسبعين من عمره، وعلى الرغم من المصاعب التي تحيط برحلته نحو السودان يغامر من أجل الوصول إلى مناطق إنتاج وتعدين الذهب في أقصى المناطق الجنوبية الشرقية من البلاد، والوقوف على أحوال البلاد ومشاهدتها بعين العارف لما يريد.

وعلى الرغم من المخاطر الكبيرة التي كنت تحيط بالباشا ورجاله، إلا أنه أصرّ على القيام بها والتعرف على السودان من خلال مشاهدته الشخصية، ليتمكن من تحديد كيفية التعامل مع هذا القطر المترامي الأطراف، والذي تتعدد موارده وثرواته، ويمكن القول إن رحلة محمد علي باشا إلى السودان كانت تمليها العديد من العوامل الداخلية والخارجية التي تم شرحها سابقاً، والتي كانت تحيط بالباشا في ذلك الوقت، ولذلك نجد إصراره على الذهاب إلى السودان.

المتتبع لتاريخ ومسيرة محمد علي باشا ومنذ توليه للحكم في مصر يجد أنه كان شديد الاهتمام بالعمارة وتشييد القصور، فنجده قد شيد عدداً من القصور في القاهرة والإسكندرية وحواضر الأقاليم، وهو حسب تقديري قد نجح في وضع بنية تحتية ممتازة لمصر والمصريين، وعند حضوره للسودان عمل الباشا على إنشاء قصر خاص به في مدينته الجديدة على النيل الأزرق، وهذا الأمر يدل على اهتمام وحب الباشا للمباني المميزة التي تخلد ذكراه.

وما يدل على أن محمد علي باشا كان شديد الاهتمام بالقصور وتشييدها، نجده في شهر يناير من العام 1809م، وقبل مذبحة القلعة الشهيرة قد وقع اختياره على خمسين فداناً من أراضي شبرا على النيل لبناء قصره بها، كما نجده قد قام بزراعة الأشجار، ولكن تعرض سقف القصر للانهيار في العام 1811م، وتمت إعادة بنائه في العام 1812م، وقد كلف مهندسه الخاص (ذو الفقار كتخدا)، وقد شيد محمد علي باشا قصره في شبرا على الطراز العثماني الذي كان شائعاً على شواطئ البسفور والدردنيل، وأصبح مقراً لحكم الباشا بعد ثلاث سنوات[2].



صورة أبيض وأسود لقصر محمد علي باشا بمنطقة شبرا بالقاهرة

أسـهمت القـوة العسـكرية التـي رافقـت البعثـة العلميـة التـي كانـت مهمتهـا تنحصـر في البحـث عـن الذهـب في تشييد مدينـة محمـد علـي باشـا، وكانـت مدينـة عسـكرية عماليـة، لأن العسـاكر أقامـوا مسـاكنهم بهـا، بالإضافـة لمسـاكن المهندسـين والعمـال الذيـن يعملـون في اسـتخراج الذهـب، كمـا أن محمـد علـي باشـا كان طموحاً تجـاه هـذه المدينـة الجديـدة، ويتوقـع لهـا الازدهـار والتطـور[3].

امتـاز القصـر الـذي قـام محمـد علـي باشـا بتشـييده في مدينتـه -مدينـة محمـد علـي باشـا- بالجمـال، وقـد أقـام فيـه الباشـا لمـدة مـن الزمـن بحثـاً عـن المعـدن النفيـس[4].

كان محمـد علـي باشـا يطمـح في أن تصبـح مدينتـه الجديـدة علـى النيـل الأزرق مـن أهـم المـدن السـودانية، وقـد عمـل علـى إنشـاء الحدائـق والبسـاتين، وأحـاط المدينـة بسـور، وشـجع السـكان السـكن فيهـا لـكل مـن يرغـب مـن أهـل المنطقـة[5].

تُعد مدينـة محمـد علـي، بحسـب المخطـط لـه مـن قبـل الباشـا، أحـد المـدن الصناعيـة أو العسـكرية التـي أنشـأها محمـد علـي باشـا في السـودان، وهـي لا تقـل أهميـة عـن مـدن أخـرى ارتبـط قيامهـا بالحكـم التركـي المصـري في السـودان، مثـل الخرطـوم العاصمـة التـي

ارتبط قيامها بالحكم التركي- المصري، والمسلمية[6] التي تعد من أهم المدن التجارية في الحكم التركي- المصري في وسط السودان، والكاملين[7] التي تقع على الضفة الغربية للنيل الأزرق جنوب العاصمة الخرطوم، وفامكا[8] التي تقع على النيل الأزرق في منطقة فازوغلي، والتي تطورت ونمت في العهد التركي المصري، وغيرها من المدن السودانية[9].

بالإضافة للمرتب الكبير الذي أقرَّه محمد علي باشا لمهندسي الذهب الذين يعملون في مدينته الجديدة، قرر إعطاء كل واحد منهم، كما ذكرنا، مائة فدان زراعية بالقرب من المدينة، بشرط أن يعملوا على تدريب الأهالي على الزراعة والفلاحة الحديثة، كما أمر شيخ كل قبيلة بإحضار شخصين ليكونوا تحت إمرة أحد المهندسين لتعلم الزراعة، ثم بعد ذلك يزرعون الأراضي التي منحت لهم، ويقومون بحصادها بعد ذلك لحسابهم الخاص. كانت فكرة محمد علي باشا تقوم على تعلم الأهالي طرق الزراعة الحديثة والاستفادة من العوائد التي تحققها، ومن المحاصيل التي رغّب محمد علي باشا في زراعتها بالقرب من مدينته الجديدة، النيلة، والقطن، وقصب السكر، وألا يأخذ منهم سوى العشر بعد فترة سماح لهم[10].

قضى محمد علي باشا خمسة أشهر في مدينته بحثاً عن الذهب، وعلى الرغم من إصراره للحصول على كميات كبيرة منه، إلا أن مهمته لم تكلل بالنجاح المطلوب[11].

قضى محمد علي باشا معظم وقته عند زيارته للسودان في منطقة بني شنقول، وكانت نتائج الحصول على الذهب فاشلة أيضاً، وقد تواصلت عمليات التنقيب عن الذهب في عهد الحكمداريين أحمد باشا جركس أبو ودان، وأحمد باشا المنكلي، وخالد خسرو[12].

ذكر محمد فؤاد شكري أن محمد علي باشا قد أخبر بعض قناصل الدول الأوربية أنه سوف يتراجع لمدينته على النيل الأزرق في حالة تعرضه لأي هجوم أو انتزعت منه السلطة في القاهرة[13].

نجد أن فكرة التراجع للسودان كانت حاضرة في أذهان معظم الذين حكموا مصر خوفاً من تقلبات الأوضاع الأمنية في القاهرة، ولمعرفتهم التامة بأن هذا البلد وأهله

سوف يعملون على حمايتهم والوقوف معهم متى ما دعت الحاجة لذلك، ونجد أن المماليك زحفوا جنوباً ناحية السودان عندما بطش بهم محمد علي باشا بعد مذبحة القلعة المشهورة، وكذلك رغبة وطموح الباشا أن تصبح مدينته في النيل الأزرق في أقصى الجنوب الشرقي قبلته إذا ما تمت مهاجمته في القاهرة، ونرى أن محمد علي باشا كان يعلم حجم المخاطر التي تحيط به، وأنه عرضه لأي تمرد أو هجوم بغرض القضاء عليه وعزله عن الحكم في مصر.

أيضاً يمكن القول، إن محمد علي باشا حاول من خلال بناء مدينته الجديدة في النيل الأزرق أن يكون قريباً من الأراضي الحبشية والبحر الأحمر، وأن يتخذ هذه المدينة نقطة انطلاق نحو الساحل الغربي للبحر الأحمر للسيطرة عليه، مع العلم بأن محمد علي لم يخفِ طموحه في السيطرة على البحر الأحمر وتأمين التجارة فيه.

الهوامش:

1. حسن أحمد إبراهيم، مرجع سابق، ص 13.
2. عزيزة إبراهيم علي غنام، قصر محمد علي باشا بشبرا أثر رقم (602)، ورقة منشورة، دراسات في آثار الوطن العربي 15، (ب. ت) ص 908.
3. حمدنا لله مصطفى حسن، التطور الاقتصادي والاجتماعي في السودان (1841–1881م)، دار المعارف، القاهرة، 1885م، ص3.
4. نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان، دار عزة للطباعة والنشر، 2008م ، ص 521.
5. المسلمية: مدينة تجارية تأسست في العام 1661م، وازدهرت المدينة في العهد التركي، وأصبحت من أهم لمدن التجارة في ذلك الوقت. تأتي إليها السلع من الحبشة، وصر ، وشبه الجزيرة العربية، عبر مينائي سواكن ومصوع، وكذلك من دارفور وجبال النوبة ،فقدت المدينة قوتها التجارية بعد ظهور الخرطوم وتطورها، ينعقد سوق المدينة يوم الثلاثاء من كل أسبوع، ويتم عرض السلع التي يتم احضارها من الهند، ومصر، وكان الذهب يباع في سوق المسلمية من خلال التجار الذين يقومون بإحضاره من مناطق الجبال من كردفان وفازوغلي، انظر رتشارد هل، على تخوم العالم الإسلامي، مرجع سابق، ص72.
6. الكاملين: تقع مدينة الكاملين على النيل الأزرق جنوب مدينة الخرطوم وشمال مدينة ود مدني، وقد ارتبط نشأة وظهور المدينة بالحكم التركي المصري، وتميزت المدينة بوجود عدد من المصانع التي تم بناءها بواسطة نور الدين أفندي وهو من الاقباط المصريين الكاثوليك، وقد اعتنق الإسلام فيما بعد، اشترك مع نور الدين القبطي أحمد باشا أبوودان في بناء هذه المصانع، كما أنشأ رجل ألماني يدعى (بور) مصنعا للصابون والكونياك، كما كان هناك مصنع آخر لصناعة السكر والنيلة شيده أحد السودانيين، وما يمز هذه المصانع النظافة والنظام الأمر الذي كان يندر في مثل هذه المؤسسات في ذلك الوقت، انظر محمد فؤاد شكري، الحكم المصري في السودان، مرجع، سابق، ص 37.
7. فامكا واحدة من المدن التي ظهرت في فترة الحكم التركي – المصري في السودان، تقع على النيل الأزرق بالقرب من الرصيرص.
8. حسن أحمد إبراهيم ، رحلة محمد علي باشا إلى السودان ، مصدر سابق ، 49.
9. محمد فؤاد شكري، مصر والسيادة على السودان، مرجع سابق ،ص، 14.
10. حسن أحمد إبراهيم، مرجع سابق، ص 52.
11. محمد سعيد القدال، تاريخ السودان الحديث، ص99.
12. المرجع نفسه، ص 98.
13. حسن أحمد إبراهيم، مصدر سابق، ص 48.

الفصل الثاني عشر

محاولات محمد علي باشا للحصول على الذهب من السودان

لم يتوقف محمد علي باشا عن حلمه الرامي للحصول على الذهب من مناطق فازوغلي والنيل الأزرق، فقد عمل على مد الحكمدار أحمد باشا أبو ودان بالمساعدات اللازمة للحصول على الذهب، وفي 17 أبريل 1843م كتب أبوودان للباشا يخبره بفشل محاولاته في الحصول على الذهب من فازوغلي، ومنطقة خور (رندة) الذي يبعد مسافة تسع عشرة ساعة عن مدينة محمد علي باشا، وكان جملة ما تحصلوا عليه من الذهب أربعين أوقية من الذهب، وهي دون الطموح والمخطط للحصول عليه من تلك المناطق[1].

وفي عهد الحكمدار أحمد باشا المنكلي[2]طلب منه البحث عن الذهب في مناطق فازوغلي، وفعلاً أجرى، ما بين 1843 و1843م، عدة محاولات لاستخراج الذهب، لكن تلك المحاولات لم تحقق النجاح المطلوب، والكميات المتحصل عليها لم تكن مشجعة للمضي قدماً في المزيد من البحث والتنقيب عن الذهب في تلك المناطق، وبالرغم من ذلك قرر محمد علي باشا إرسال خبير من مصر لمناطق فازوغلي بغرض التحقق من النتائج التي توصل إليها المنكلي[3].

نلحظ أن محمد علي باشا وبالرغم من حضوره إلى السودان في رحلته المشهودة إلا أنه لا يثق في التقارير التي تتحدث عن كميات الذهب في السودان ومناطق النيل الأزرق، مما يدل على أن محمد علي باشا لا يثق في حكمداره في الخرطوم، ولا الكميات التي يتم الكشف عنها الحصول عليها من الذهب.

واصل الحكمدار خالد[4] خسرو (1845–1849م) الذي خلف الحكمدار أحمد باشا المنكلي على حكمدارية السودان جهود سابقيه في الحصول على الذهب من مناطق فازوغلي وبني شنقول على النيل الأزرق، فقد وصلت إليه بعض الأخبار بواسطة الشيخ عدلان شيخ قبائل الفونج التي تقطن تلك المناطق، أن هناك بئر بجبل (دول) يتوقع وجود الذهب فيها، فما كان من خسرو إلا أن قام بقيادة حملة في العام (1846–1847م) من أجل الحصول على الذهب من هذه البئر، ثم حملة أخرى في العام (1847–1848م) إلى جبل قيسان على النيل الأزرق، وأرسل إليه الباشا من القاهرة جميع المساعدات اللازمة، لكن مهمته لم تكلل بالنجاح[5].

كانت منطقة جنوب النيل الأزرق عموماً والمنطقة التي حددها محمد علي باشا لقيام مدينته الجديدة منطقة سيطرة تامة للقوات الخديوية منذ العام 1821م، وشهدت توافد أعداد كبيرة من الأوربيين، والحاميات العسكرية المقيمة التي كانت جميعها تبحث عن الذهب[6].

وعلى الرغم من فشل محمد علي باشا في الحصول على الذهب بالكميات التجارية التي كان يطمح ويمني النفس بالحصول عليها من السودان عموماً ومنطقة النيل الأزرق على وجه التحديد، فتدهورت مدينته بمرور الزمن حتى أصبحت مبانيها خرائب وأطلال، إلا أنه قد سعى بصورة جادة وعملية لإنشاء مدينة متحضرة في تلك المناطق النائية من السودان.

لم تصمد مدينة محمد علي كثيراً، والسبب في ذلك فشل المهمة التي دعت لإنشائها، وهي الحصول على الذهب[7]. والمدينة الآن عبارة عن خرائب من الطوب الأحمر الجيد الصنع، كما أن الأشجار قد نمت بين انقاض المدينة التاريخية، ورغم كل المصاعب والعوامل المناخية تمسكت المدينة بالحياة، ويمكن أن تعود إليها بالقليل من الإهتمام والجهد الرسمي والشعبي.

الهوامش:

1. حمدنا الله مصطفى حسن، مرجع سابق، ص 100.
2. أحمد باشا المنكلي: عين حكمداراً على السودان في العام 1842م خلفاً للحكمدار أحمد باشا أبوودان، عند وصوله للخرطوم وجد البلاد يعمها الفساد، وواجه تمرد الجهادية السود في كسلا، وتمكن من قتل بعضهم وتسريح البعض الآخر، وعفى عن معظمهم بعد الوساطة التي قام بها السيد الحسن الميرغني، انظر البشير أحمد محيي الدين، معجم أعلام السودان، (1820–1956م)، (الخديوية المصرية والحكم الثنائي، والمهدية، الدار البيضاء، الخرطوم 2019م، 76-75
3. خالد خسرو: عُين حكمداراً على السودان خلفاً للحكمدار أحمد باشا المنكلي (1845–1849) نجح في أن يتنقل في معظم أجزاء البلاد، عُزل من منصبه في العام 1849م وعاد إلى مصر، انظر البشير أحمد محيي الدين، مرجع سابق، ص 259.
4. حمدنا الله مصطفى حسن، مرجع سابق، ص 101.
5. جاي سبالودنق، مرجع سابق، ص 258.
6. حمدنا الله مصطفى حسن، مرجع سابق، ص 32.
7. أ. ف أنتوشين، ذهب سنار، قصة أول مصنع لاستخلاص الذهب في عهد محمد علي (ترجمة)، وليد أحمد طلبه، دار أنباء روسيا، ط2، 2014م ص 16.

الفصل الثالث عشر

الموقف الأوربي من زيارة محمد علي باشا إلى السودان

عمل محمد علي باشا على دعوة عدد كبير من القناصل الأوربيين في القاهرة وبعض الأوربيين هناك، بغرض الذهاب معه في رحلته إلى السودان والتعرف على المعادن والثروات التي تحتويها تلك البلاد، والتي من أهمها الذهب، كما أنه كان يخطط للاستثمار والتنقيب في هذا المعدن منذ أن زحفت قواته جنوباً نحو سنار وكردفان، وقد كانت ثروات السودان محط أنظار العديد من حكام دول العالم مثل: الروس، والنمساويين، والإيطاليين، والفرنسيين في تلك الفترة[1].

إهتم القنصل النمساوي (لاورين) Laurin في القاهرة برحلة محمد علي باشا للسودان، وكتب في 19 أبريل 1939م لحكومته أن محمد علي باشا قد قام بنشر رحلته في صحيفة الرحلة إلى السودان، وأن صدور هذه الرحلة في الصحيفة الرسمية يدعوه ودولته للاهتمام بها، وأكد لاورين لحكومته أن الباشا قد قرر تأسيس مملكة واحدة تضم كل الأراضي السودانية، ونشر رحلته في الصحيفة بعد عودته مباشرة لم يكن إلا تمهيد من قبل الباشا لإعلان هذه المملكة السودانية الحديثة[2].

يمكن القول، مما سبق إن محمد علي باشا سعى إلى إنشاء مدينة حديثة، تعتمد على الذهب والتنقيب فيه، وأن تصبح مدينة تجارية حرة في المستقبل. وما يدل على ذلك اصطحابه لعدد من الأوربيين والقناصل لتعريفهم بالمنطقة والموارد التي تتوافر فيها، كما أن محمد علي باشا يرغب في إرسال العديد من الرسائل للدول الأوربية والسلطان العثماني مفادها أنه قادر على استخراج ثروات السودان المختلفة

واستثمارها، لتسهم هذه الثروات الضخمة في حل ضائقته المالية، وتجعله يكمل ما يخطط له من مشروعات.

فشلت محاولات محمد علي باشا في الحصول على الذهب من السودان، وأصبح الحصول عليه مكلفاً جداً، والدليل على ذلك أن الحصول على أوقية 13 حبة من الذهب يتطلب 1862 عاملاً يعملون لمدى 130 يوماً، وقد احتاجت مناجم الذهب في قيسان[3] إلى 40 قنطاراً من الحديد الصاج و150أقة من الغراء، وهناك ملاحظة مهمة وهي أن الذهب الذي كان يستخرج من السودان يتم إرساله إلى دار سك العملة (الضرب خانة) في القاهرة لعمل النقود،[4] وعندما لم يوفق محمد علي باشا في الحصول على الكميات الكبيرة التي ينشدها من الذهب السوداني، وفشلت معظم محاولاته المتكررة بهذا الخصوص، نجده قد إتجه إلى تطوير مقدرات البلاد في مجلات أخرى غير الذهب[5].

يمكن القول إن الأسباب التي أدت إلى فشل محاولات محمد علي باشا للحصول على الذهب من منطقة فازوغلي وبني شنقول وجبل شيبون في كردفان متعددة، ويمكن تلخيصها في الآتي:

1. كميات الذهب والمعادن التي كان يرغب محمد علي باشا في الحصول عليها لم تكن بالكميات الكبيرة أو التي رسمها الباشا في مخيلته لثروات السودان المعدنية.
2. كانت كميات الذهب السوداني قديماً تستخرج لتغطية احتياجات السوق المحلي، ولكن بعد سيطرة محمد علي باشا أصبحت الكميات تطلب لتغطية احتياجات كبيرة جداً.
3. عدم تأقلم المهندسين والفنيين المصريين والأجانب على قسوة المناخ السوداني وتقلباته مما أسهم في أن تكون الكميات المتحصلة من الذهب قليلة ودون المخطط له[6].
4. التقارير التي كنت ترسل لمحمد علي باشا عن وجود كميات كبيرة من الذهب في العديد من المناطق في السودان كانت تقاريرا مضللة.

5. بدائية الطرق التي تم استخدامها للحصول على الذهب في السودان.

6. العداء السافر الذي تعرضت له بعثات التنقيب من الأهالي في مناطق التنقيب بسبب العناصر الأجنبية التي كانت تضمها تلك البعثات.

7. إمتناع الأهالي عن مد يد العون والمساعدة لبعثات التنقيب التي حلت بأراضيهم.

8. كره المصريين للعمل في المناطق النائية في فازوغلي وجبل شيبون.

9. فرق التنقيب لم تجد الحماية الكافية من قبل القوات التي أوكلت إليها مهمة الحماية.

10. عزوف مجموعات السودانيين التي كانت تعمل بالتنقيب من سكان محليين ومجموعات الشايقية وهروب عدد منهم من مناطق التعدين.

11. النقص الكبير في المؤن بالنسبة لفرق التعدين وذلك بسبب هروب الأهالي.

12. تفشي الأمراض في مناطق التعدين، من بينها مرض الملايا الذي توفي بسببه المسيو (لفبره)، وهو أحد رجال التنقيب الذين تركهم محمد علي باشا في السودان بعد حضوره إليهم في العام 1838م.[7].

على الرغم من فشل محمد علي باشا في الحصول على ما كان يخطط للحصول عليه من الذهب السوداني في مختلف مناطق السودان، إلا أننا نجده قد عمل على أن يفتح السودان على العالم الخارجي، وأن يلحقه بركب التطور والتنمية التي أصبحت سمة المجتمعات المتحضرة في ذلك الوقت، وهذا الانفتاح واستغلال موارد وثروات السودان جعل هناك العديد من الأساليب والوسائل التي استخدمت ضد السودانيين من قبل حكمداري السودان وصلت إلى حد الضرب والتشريد والقتل مما ولّد قدراً من الكراهية للحكم التركي - المصري جعل أهل السودان يبحثون عمّن يخلصهم من حكم امتدّ لأكثر من ستين عاماً (1821-1885)، فكان لهم ما أرادوا بقيام الثورة المهدية في العام 1881م.

وعلى الرغم من اجتهاد خلفاء محمد علي باشا في الحصول على معدن الذهب من السودان، والمراسلات الكثيرة التي تمت بينهم وبين حكمداري السودان، وذلك

بسبب حوجتهم للذهب في سك العملة، رغم كل ذلك لم يتحقق المطلوب من الذهب، ونتيجة لذلك فقد إتجهت الخديوية في مصر إلى مصادر للدخل مضمونة النتائج مثل الزراعة والتجارة، وأهملوا الذهب وتحديث طرق الحصول عليه، وتركوا عمليات التنقيب والبحث للأهالي والمحاولات البسيطة من قبل الحكومة، ويتضح أن الخديوية في مصر وصلت إلى قناعة تامة، هي عدم وجود الذهب بكميات كبيرة في السودان[8].

الهوامش:

1. محمد فؤاد شكري، مرجع سابق، ص 20..
2. المرجع نفسه، ص 21.
3. منقطة قيسان: من المناطق الحدودية مع إثيوبيا تقع في الجزء الجنوبي الشرقي من ولاية النيل الازرق في السودان عرفت منذ قديم الزمان بحرفة التعدين عن الذهب.
4. محمد سعيد القدال، مرجع سابق، ص 98.
5. ضرار صالح ضرار ، تاريخ السودان الحديث، مرجع سابق، ص 67.
6. محمد سعيد القدال، مرجع سباق، ص 98 .
7. حمدنا الله مصطفى حسن، مرجع سابق، ص 103-104
8. المرجع نفسه، ص 104

الخاتمة

أسهمت رحلة محمد علي باشا إلى السودان في العام 1838م، وبحثه المستمر عن الذهب في قيام ونشأة مدينة على النيل الأزرق في السودان، وقد شجع موقع المدينة وجودة هوائها في أن يشرع الباشا في إنشاء مدينة تلبي طموحاته الكبيرة والتوسعية، وهو يخطط لأن تصبح المدينة الجديدة مدينة صناعية تنتج الذهب، وترتبط باسمه بمرور الزمن، وما يدل على ذلك أن الباشا عمل على بناء قصر فخيم ومستشفى ومخزن للذخيرة، وسكن للجند والعمال في مدينته الجديدة، كما شجع الأهالي المقيمين حول المدينة بالارتحال إليها مع توفير ما يحتاجون إليه من غذاء وأمن واستقرار، فظهرت لحيز الوجود مدينة جديدة تضاف لمنجزات محمد علي باشا وخلفائه في السودان، مدينة يمكن أن نطلق عليها صفة العصرية بمعايير ذلك الزمان. وقد ازدهرت المدينة وتطورت في بداية الأمر، ولكن نسبة للعديد من العوامل والأسباب والتي من أهمها الفشل في الحصول على الكميات التجارية من الذهب من مناطق جنوب النيل الأزرق في السودان تراجعت المدينة وفقدت أهميتها، وتخلي الباشا وخلفاؤه عن استثمار هذه المدينة والاستفادة منها مستقبلاً، كما أسهمت حالة الاستقرار في مصر في عدم الاهتمام بالمدينة من قبل محمد علي باشا ونتيجة لذلك تعرضت للإهمال والضياع، وانتهت هذه المدينة بمرور الزمن، والتخريب المنهج من قبل المنقبين عن الذهب في وقتنا الحالي، وعندما سجل فريق العلمي الذي زار المدينة في نوفمبر من عام 2023م بقيادة الدكتور علي أحمد إبراهيم أستاذ التاريخ القديم بجامعة النيل لازرق وجد المدينة قد تعرضت للتخريب من قبل مجموعات المنقبين عن الذهب في تلك المناطق .

1. أسهمت رحلة محمد علي باشا للسودان والتي كانت في الفترة من 15 اكتوبر 1838–14 مارس 1839م في تأسيس مدينته التي قام بإنشائها في منطقة النيل الأزرق في السودان.

2. كان لمعدن الذهب وطريقة الحصول عليه دور مهم في تأسيس مدينة محمد علي باشا في منطقة النيل الأزرق.

3. ارتبط ظهور مدينة محمد علي باشا في منطقة النيل الأزرق بشخصية الباشا وبفترة حكمه في السودان، كما أن هناك العديد من المدن السودانية التي ارتبطت بهذه الفترة مثل: الخرطوم، والكاملين، وكسلا، وفامكا وغيرها من المدن السودانية.

4. عدم الحصول على الذهب بالكميات التي يطمح محمد علي باشا في الحصول عليها أدى في نهاية الأمر لاندثار المدينة وخرابها.

5. تشجيع التوثيق ودراسة المدن السودانية التاريخية في مختلف ربوع البلاد.

6. الاستفادة من المدن التاريخية السودانية في تشجيع حركة السياحة الداخلية ومن خارج السودان.

7. العمل على تسجيل المدن السودانية القديمة في قائمة التراث الإنساني العالمي.

8. تكوين فرق بحثية من المختصين في الآثار والجغرافيا والتاريخ والاجتماع والفلكلور لدراسة المدن السودانية دراسة متعمقة.

9. العمل على حماية المواقع الآثارية عموماً ومدينة محمد علي باشا وجه الخصوص من النهب والتخريب .

المصادر والمراجع

(1) البشير أحمد محيي الدين، معجم أعلام السودان، (1820–1956م)، (الخديوية المصرية والحكم الثنائي، والمهدية)، الدار البيضاء، الخرطوم 2019م.

(2) الشاطر بصيلي عبد الجليل، معالم تاريخ سودان وادي النيل، من القرن العاشر حتى القرن التاسع عشر، مكتبة الشريف، الخرطوم، 2009.

(3) الأمين محمد سعيد، سياسة محمد علي في السودان، (1235–1264هـ/ 1820–1848م)، (ب. د)، 2016م.

(4) الفريد أدمون بريم، السودان والرحّالة الألماني بريم، (1847–1852م)، (ترجمة) النور عثمان أبكر، دار مدارك، الخرطوم، 2010م.

(5) إقناتيوس بالما، رحلات في كردفان، (1837–1839م)، (ترجمة) أرباب موسى بخيت، دار المصورات للنشر، الخرطوم 2019م.

(6) أ. ف أنتوشين، ذهب سنار، قصة أول مصنع لاستخلاص الذهب في عهد محمد علي باشا، (ترجمة) وليد محمد طلبه، الطبعة الثانية، أنباء روسيا، 2014م.

(7) إدوارد روبيل، رحلات في شمال السودان وكردفان وشبه جزيرة سيناء وساحل الحجاز، (خاصة من منظور جغرافي إحصائي)، (ترجمة)، فادية فضة، حامد فضل الله، دار المصورات، الخرطوم، 2009م.

(8) رتشارد هل، على تخوم العالم الإسلامي، 1822–1841م، (ترجمة) عبدالعظيم محمد أحمد عكاشة، ثريا الزين صغيرون، دار المصورات للطباعة والنشر، 2016م.

(9) صلاح الدين الشامي، السودان دراسة جغرافية، منشأة المعارف، الإسكندرية، (ب. ت).

(10) صلاح عمر الصادق، دراسات سودانية في الآثار والفلكلور والتاريخ، دار عزة للنشر، 2006م.

(11) يوسف فضل حسن، مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية في السودان الشرقي،1450-1821م، سودا تك، دار السداد للطباعة، الخرطوم، 2012م.

(12) جاي سبولدنق، عصر البطولة في سنار، تعريب أحمد المعتصم هاشم، هيئة الخرطوم للنشر، 2010م.

(13) خوجلي أحمد صديق، نظم الحكم في السودان في الفترة من 1820-1885م، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1987م.

(14) حسن أحمد إبراهيم، رحلة محمد علي باشا للسودان،ط3، دار آريثيريا للنشر والتوزيع، 2023م.

(15) ديرك أ.ولسبي، بمشاركة دانيال انطوني، الكوة، مدينة جماتون الفرعونية والكوشية، تاريخ الموقع وآثاره، (ب.د)، (ب.ت).

(16) محمد سعيد القدال، تاريخ السودان الحديث، (1820-1955م) ط2، مركز عبدالكريم ميرغني، أم درمان، 2002م.

(17) محمد صالح محيي الدين، مشيخة العبدلاب وأثرها في حياة السودان السياسية (910-1236هـ/1504-1821م)، دار الفكر، بيروت، الدار السودانية للكتب، 1972م.

(18) محمد فؤاد شكي، الحكم المصري في السودان، -1821 1885م، دار الفكر العربي القاهرة، 1947م.

(19) ــــــــــ، مصر والسيادة على السودان (الوضع التاريخي للمسألة)، دار الفكر العربي، القاهرة(ب. ت).

(20) ــــــــــ، مصر والسودان تاريخ وحدة وادي النيل في القرن التاسع عشر، شركة الأمل للطباعة، 2014م.

(21) مكي شبيكة، السودان عبر القرون، دار الجيل بيروت،1991م.

(22) رفاعة رافع الطهطاوي، مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية، ط2 مطبعة شركة الرغائب - القاهرة، 1912م.

(23) سليمان كشه، تأسيس مدينة الخرطوم والمهدية، (ب. ت)، (ب. د).

(24) ضرار صالح ضرار، تاريخ السودان الحديث، ط4، مكتبة الحياة، بيروت، 1964م.

(25) نسيم مقار، الرحَّالة الأجانب في السودان (1730–1851م)، مركز الدراسات السودانية، القاهرة،1995م.

(26) حمدنا الله مصطفى حسن، التطور الاقتصادي والاجتماعي في السودان، 1841–1881م، دار المعار ف القاهرة، 1985م.

(27) عبدالله حسين، السودان من التاريخ القديم إلى رحلة البعثة المصرية، ج1، مؤسسة هنداوي للثقافة، القاهرة، 2013م.

(28) نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان، دار عزة للطباعة والنشر، 2008م.

التقارير الآثارية:

(1) تقرير الهيئة القومية للآثار والمتاحف وجامعة النيل الازرق ، مسح للمواقع الأُثرية لتي اكتشفتها لجنة جمع وتوثيق تاريخ وتراث السلطنة الزرقاء والفريق الآثاري مارس / أبريل 2005م، ج1.

(1) تقرير الهيئة القومية للآثار والمتاحف وجامعة النيل الازرق ، مسح للمواقع الأُثرية لتي اكتشفتها لجنة جمع وتوثيق تاريخ وتراث السلطنة الزرقاء والفريق الآثاري مارس / أبريل 2005م، ج2..

التقارير الآثارية:

(1) وزارة الثقافة و الشباب والرياضة، الهيئة العامة للآثار والمتاحف، (NCAM) ، مشروع تعلية سد الروصيرص وإنقاذ الآثار، مسح استطلاعي، التقرير النهائي: فبراير 2009م.

(2) الهيئة القومية للآثار والمتاحف وجامعة النيل الأزرق ، مسح للمواقع الأثرية التي اكتشفتها لجنة جمع وتوثيق تاريخ وتراث السلطنة الزرقاء والفريق الآثاري مارس/أبريل 2005م.

المجلات العلمية:

(1) عبدالرحمن إبراهيم سعيد علي، التعدين العشوائي للذهب وأثره على المواقع الأثرية (إقليم الشلال الثالث أنموذجاً)، مجلة القُلزم للدراسات التاريخية والحضارية، مجلة علمية دولية محكمة، العدد الثالث والعشرون، مارس 2023م.

(2) عبدالرحيم محمد خبير، مجلة القلزم للدراسات السياحية والآثارية، العدد السادس عشر، عدد خاص بمناسبة صدور العدد (200) من مجلات القلزم العلمية، ربيع الثاني 1445هـ، أكتوبر 2023م.

(3) عوض عبد الجليل أبوبكر محمد، أمارة قبيلة ربيعة في وادي العلاقي بأرض البجة (132-815هـ/750-1412م)، مجلة القُلزم العلمية الدولية المحكمة، العدد الثاني، شوال 1441هـ/يونيو 2020م.

(4) عزيزة إبراهيم علي غنام، قصر محمد علي باشا بشبرا أثر رقم (602)، ورقة منشورة، دراسات في آثار الوطن العربي 15، (ب. ت).

(5) فتح الرحمن محمد الأمين العراقي، سياحة الذهبيات بين مصر والسودان مشروع تنموي مشترك في السياحة البيئية، مجلة القُلزم العلمية للدراسات الآثارية والسياحية، العدد التاسع ،شوال 1444هـ/مايو2023م

(6) مهدي رزق الله أحمد، السلطنة السنارية ودورها في الحياة الإسلامية السودانية، أبحاث مجلة الدارة، المملكة العربية لسعودية، (ب.د)،(ب. ت).

المواقع الإلكترونية:

(1) قوين ويستراي، ذهب شيبون، (ترجمة وتلخيص) بدرالدين حامد الهاشمي، صحيفة الراكوبة، 15 مارس 2016م.

الملاحق

ملحق رقم (1)

مسح للمواقع الأثرية التي اكتشفتها لجنة جمع وتوثيق تاريخ وتراث السلطنة الزرقاء والفريق الآثاري مارس / أبريل 2005م.

بسم الله الرحمن الرحيم

الهيئة القومية للآثار والمتاحف
و جامعة النيل الأزرق

مسح للمواقع الأثرية التي اكتشفتها لجنة جمع و توثيق تاريخ و تراث السلطنة الزرقاء و الفريق الاثاري مارس/ أبريل 2005م

الجزء الأول:

في إطار خطة احتفال "لجنة جمع وتوثيق تاريخ و تراث السلطنة الزرقاء" جامعة النيل الأزرق بمرور خمسمائة عام علي قيام السلطنة الزرقاء و مرور عشرة اعوام علي قيام جامعة النيل الأزرق ،و خلال جولات أعضاءها في ولاية النيل الازرق تعرفوا علي ثلاثة عشرة موقعاً اثرياً بمساعدة المواطنين و السلطات المحلية و هي : سوبا و موقع التامين الصحي (من احياء الروصيرص) - حلة الحجر - جبل قري - ابو رماد - الديسة - جبل اقدي - جبل رورو - جبل قلي - فاذغلي ،و تم ارشاد اللجنة علي مواقعها حيث اجرت اللجنة تصويرها و وصفها و تحديد مساحاتها و اتجاهاتها، و اكمالاً للجانب القانوني الاثاري، اتصلت ~~اللجنة بالدكتور خضر آدم عيسى أستاذ التاريخ القديم و الآثار بجامعة~~ الخرطوم و مدير مشروع المسح الاثاري و التنقيب الإنقاذي بالضفة الشرقية للنيل الأبيض، كما خاطبت اللجنة مدير عام الهيئة القومية للآثار و المتاحف لتوثيقه و تسجيله رسمياً و المساعدة علي إنزال مواقعها علي

خرائط الهيئة القومية للمساحة ،بخطاب رئيس اللجنة الصــادر بتــاريخ 2005/3/17م ، حيث تمت الموافقة علي ارسال فريق من الهيئة القومية للآثار و المتاحف و فتحت ملف باسم جامعة النيل الازرق تحــت رقــم (هــ ق أم//ع ب/58 جامعة النيل الازرق)، علي ان تتكفــل الجامعــة بشراء الخرائط الطبوغرافية للمنطقة بمقياس رسم 1.250.000 سم مــن الهيئة القومية للمساحة بموجب خطابهم بتاريخ 2005/3/20م بالنمرة هــ ق أ م/ع/ ل/58 ، و شراء عدد 5 أفلام ملونة ، 6 افــلام شــرائح ،6 أمشاط صباعات حجارة بطارية بالاضافة الي وقود العربة في الجولات علي المواقع المذكورة و عند العودة الي للخرطوم، و تم ذلك خلال الفترة من 3/25 حتي 2005/3/30م ، حيث عمل فريق الهيئة المكــون مــن الأستاذين صلاح عمر الصادق و محمد فاروق – و انضم إليهما دكتور خضر ادم عيسي كخبير للجنة بجانب اعضاء "لجنة جمع و توثيق تاريخ وتراث السلطنة الزرقاء":د. عبد الجليل الشيخ– الاســتاذ .علــي احمــد ابراهيم – الاستاذ مهدي حامد احمد و السيد محمد ادم علي حيث قامــت اللجنة بارشادهم علي المواقع المذكورة اعلاه و تعرفوا علي اللقي الأثرية التي جمعتها اللجنة، و تم التحقق من شظايا الأواني الفخارية و الخرز و المقابر المنتشرة في تلك المواقع التي تم تحديد موقعها علي الخــرط ،و في نهاية عمل الفريق تم الاتفاق علي عقد اتفاقية مماثلة لما عقدته الهيئة القومية للآثار و المتاحف مع الجامعات السودانية.

بسم الله الرحمن الرحيم
وزارة السياحة و التراث القومي
الهيئة القومية للآثار و المتاحف

الجزء الثاني:

التقرير العلمي الأولي لمنطقة النيل الأزرق*

بدعوة كريمة من السيد/د. عبد الجليل الشيخ رئيس لجنة جمع و توثيق تاريخ و تراث السلطنة الزرقاء بجامعة النيل الازرق و بمناسبة قيام أول سلطنة إسلامية بالسودان في العقد الاول من القرن السادس عشر، و بالاتفاق مع الهيئة القومية للآثار و المتاحف و جامعة النيل الازرق تم الاتفاق علي اجراء المسوحات الاولية بمنطقة جنوب النيل الازرق. و بناءا عليه فقد تكون الفريق من الآتية أسماءهم:

1. صلاح عمر الصادق — الكشف الاثري
2. محمد فاروق عبد الرحمن — الكشف الأثرى
3. د. عبد الجليل الشيخ — جامعة النيل الأزرق
4. د. خضر ادم عيسي — جامعة الخرطوم(مكلف من جامعة النيل الازرق)
5. محمد ادم علي — جامعة النيل الأزرق(// //)
6. مهدي حامد احمد — جامعة النيل الأزرق
7. علي احمد ابراهيم — جامعة النيل الأزرق

موقع جبل قري:

بدأ العمل في2005/3/25م بالضفة الشرقية للنيل الأزرق و علي خطي طول وعرض :

11 50 697" ش

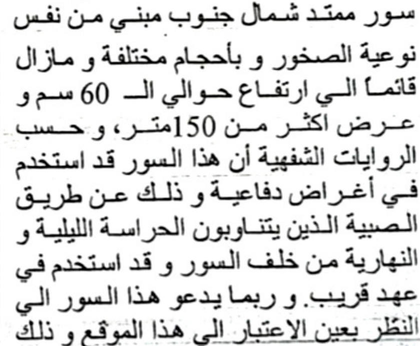
34 37 944" ق

وقد قام الفريق بزيارة أول المواقع المخطط لزيارتها بناءً علي بعض الروايات الشفهية بالمنطقة و التي تدور حول وجود بقايا لخلوة احد شيوخ المنطقة القدامى و يدعي الشيخ/ عبد الله الجاب ، و التي تقع علي قمة جبل قري الذي حدد بحوالي 26كلم شرق مدينة الروصيرص.



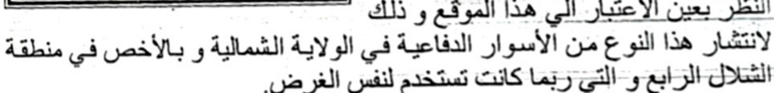
تتكون جغرافية المنطقة من الأراضي السهلية الطينية الواسعة و التي تتخللها بعض المرتفعات الجبلية المتفرقة و تنتشر فيها أشجار السافنا الفقيرة.

تكونت بقايا النشاط البشري علي سطح الجبل من عدد من المباني التي استخدمت فيها الصخور المحلية ، و تكونت من عدد من المباني الدائرية الشكل.



و فيما يبدو و من خلال الروايات الشفهية و الكوم داخل دائرة المبني ان هذه المباني ما هي الا مقابر للشيخ و أولاده. و هنالك العديد من المباني التي تنتشر علي السطح و التي يعتقد اهالي المنطقة بأنها كانت تمثل منازل بالخلوة.

و إلى الناحية الشرقية من الموقع يوجد سور ممتد شمال جنوب مبني من نفس نوعية الصخور و بأحجام مختلفة و مازال قائماً الي ارتفاع حوالي الـ 60 سم و عرض اكثر من 150متر، و حسب الروايات الشفهية أن هذا السور قد استخدم في أغراض دفاعية و ذلك عن طريق الصبية الذين يتناوبون الحراسة الليلية و النهارية من خلف السور و قد استخدم في عهد قريب. و ربما يدعو هذا السور الي النظر بعين الاعتبار الي هذا الموقع و ذلك لانتشار هذا النوع من الأسوار الدفاعية في الولاية الشمالية و بالأخص في منطقة الشلال الرابع و التي ربما كانت تستخدم لنفس الغرض.



أما الموجودات و اللقي الاثارية فلم يتمكن الفريق من التقاط اجزاء للفخار علي سطح الجبل او اي مخلفات اثرية اخري و ربما يعزي ذلك الي كمية اوراق الاشجار التي تتساقط سنوياً بالمنطقة.

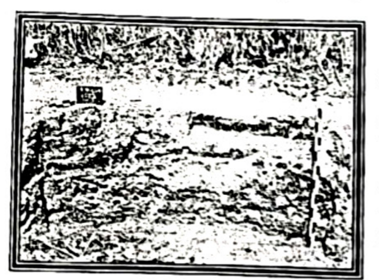
موقع سوبا/الحي الشمالي(الروصيرص):

الموقع عبارة عن كوم كبير يمتد ما بين الشارع الرئيسي و المنطقة الزراعية وقد حدد جغرافياً بالاحداثيات الاتية :

11 52 838 ش

34 23 126 ق

إبراهيم الشريف ادم ، و من خلال الصورة التوضيحية نجد الجزء الأسفل من فوهة جرة فخارية بنية اللون عليها تحزيز أفقي. ومازالت في مكانها الأصلي.



بعد معاينة الموقع فقد اتضح وجود حفرة كبيرة بالموقع ، و قد كان من الواضح ان الموقع قد استخدم لفترات تاريخية طويلة ،اذ اوضح القطاع الذي تم تنظيفه على وجود عدد 5 طبقات للنشاط البشري بها بقايا الرماد ، الفحم ، الفخار و العظام الي عمق حوالي 90سم من السطح ، و يقود ذلك الي اهمية الموقع الذي ربما يمثل اهمية كبيرة و يحتاج الي المزيد من الدراسة و عمليات التنقيب العاجلة أستخلاص اكبر قدر من المعلومات، و بخاصة ان الموقع قد اصبح منطقة سكنية و قد يصعب لاحقاً اجراء اي عمل اثري.

وتمثل هذه اللقي الاثارية جزءاً من الاثاث الجنائزي المصاحب لتلك الهياكل العظمية التي عثر عليها.فهذا الموقع هو جبانة ربما ترجع للعهد المروي المتأخر.

واثناء عمليات الحفر لتشييد المنزل و منافعه تم العثور علي مجموعة من الاواني الفخارية مختلفة الاشكال و الاغراض مصاحبة للهياكل العظمية التي عثر عليها في جزء من الموقع الذي شيد عليه منزل المواطن/ابراهيم الشريف.و بيانها كالاتي حسب كروت تسجيلها المتحفي:

1. رقم 31536:سلطانية من الفخار الاحمر مزخرفة في اعلاها و هي مصنوعة باليد و عليها اثار حرق في قاعدتها و تؤرخ من واقع الدراسة المقارنة للعهد المروي (حوالي القرن الرابع الميلادي).
2. رقم 31537:طبق بيضاوي الشكل من الفخار و هو مصنوع باليد و عليه زخرفة غائرة و اثار دخان من الداخل.(من العهد المروي).
3. رقم 31538: جرة من الفخار ضيقة الفم و مزخرفة بنقاط في شكل حزام مموج ، و لها قاعدة صغيرة مسطحة.
4. رقم 31539: سلطانية بفم عريض مفتوح و مزخرفة في اعلاها باربعة احزمة من النقاط الغائرة، و هي مصنوعة باليد.(من العهد المروي).
5. رقم 31540: كوب قمعي من الفخار (Goblet Cup) ذو فم عريض مفتوح و جسم الاناء خالي من الزخرفة.
6. رقم 31541:كوب من الفخار بفم عريض مفتوح و جسم الاناء خالي من الزخرفة. وهو مصنوع باليد(العهد المروي).
7. رقم 31542:كوب من الفخار مفتوح الفم العريض و جسم الكوب مزخرف بنقاط غائرة بشكل نصف دائرة حول جسم الاناء.(من العهد المروي).
8. رقم 31543: ادوات رحي ، عليا و سفلي من حجارة الدايورايت.

موقع فامكا (أم درفا):

087 18 11' ش

082 44 34' ق

تحرك الفريق جنوباً علي الضفة الشرقية للنيل الازرق بالطريق الخلوي الذي



انتشرت عليه أشجار المانجو و الباباي وكانت اول مدينة هي مدينة كرمة ، ثم قرية ود الماحي و هو موقع مسجل لدي الهيئة القومية للآثار و المتاحف ، و من ثمّ قرية فامكا وتعني اهل مكة بلغة البرتا.

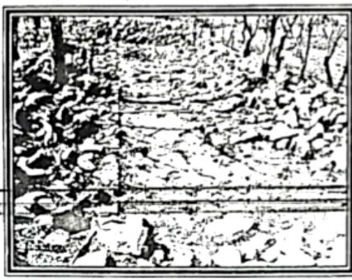
وهو امتداد لموقع مدينة فاذغلي القديمة التي بناها محمد علي باشا من اجل تعدين الذهب و تنقسم الي ثلاثة مناطق رئيسة هي فامكا ،فازقلي المدينة القديمة و فازقلي الضفة الغربية.

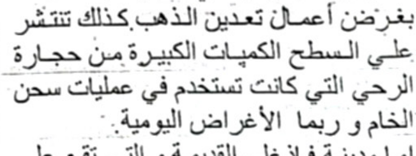


شكلت جغرافية المنطقة محمية طبيعية بالجبال من الناحية الجنوبية و الغربية و النيل إلى الناحية من الناحية الشمالية و الشرقية .

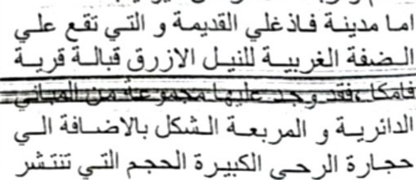
أما المباني فقد استخدم فيها الصخور المحلية و التي ما زال البعض منها يصل الي ارتفاع اعلي من المترين ، و تختلف هذه المباني من مبني الي اخر.

نجد هنالك المباني و السور الذي يحيط بالمدينة، المباني الدائرية الشكل و بارتفاعات مختلفة بالإضافة الي المباني ذات الأسوار الداخلية و التي قد بنيت بأشكال هندسية مختلفة ، و ربما بنيت بهذا الشكل بغرض أعمال تعدين الذهب كذلك تنتشر





علي السطح الكميات الكبيرة من حجارة الرحي التي كانت تستخدم في عمليات سحن الخام و ربما الأغراض اليومية.



اما مدينة فاذغلي القديمة و التي تقع علي الضفة الغربية للنيل الازرق قبالة قرية فامكا ،فقد وجد عليها مجموعة من المباني الدائرية و المربعة الشكل بالاضافة الي حجارة الرحي الكبيرة الحجم التي تنتشر علي السطح بصورة اكبر من فاذغلي الشرقية ، و ربما يعذي ذلك الي عملية طحن الصخور(كوارتز) التي تحتوي يستخلص منها الذهب.

اما من ناحية تخطيط المدينة و تقنية تعدين الذهب تحتاج الي المزيد من الدراسة التفصيلية ميدانياً.

حلة الحجر :(ابو حجر)

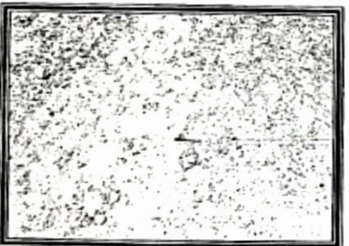
عبارة عن كوم رسوبي كبير ، يبعد عن النيل حوالي 1.5كلم و حدد جغرافياً علي خطي طول و عرض:

590 54 11 ̊ ش

901 22 34 ̊ ق



تنتشر علي سطحه كمية كبيرة من بقايا و أجزاء الفخار بالإضافة الي الخرز و العظام الآدمية مما تشير الي ان الموقع قد استخدم كمقابر في فترة من الفترات ، اما المستوي الذي عثر فيه علي هذه البقايا فهي تشير الي التعرية الشديدة و استمرارية استخدام الموقع لفترات طويلة.



تم اخذ بعض العينات الأثرية من الموقع للدراسة و التي تمثلت في اجزاء الفخار ، الخرز بالإضافة الي قطعة فخار مكتملة عبارة عن كوب صغير احضره احد المواطنين قد عثر عليه بالموقع.

وقد عثر اهالي القرية علي اللقي الاثرية التي تم تسجيلها بالارقام المتحفية التالية:

1. رقم 31565: كوب من الفخار بفم ضيق و اسفله زخرفة حول العنق تبدأ بخط مموج ثم سبعة خطوط مستقيمة حول الجرة ثم خط اخير مموج.
2. رقم 31566: ودعة و ثلاثة خرزات من الفيانس (قيشاني).

بالاضافة الي ذلك فقد تم جمع مجموعة من كسارة الفخار المزخرف باشكال مختلفة.

عائشة بنات مرحلة الاساس و من الجنوب جامع الرضيرص الكبير و من الشمال نادي الهلال الرياضي.
و قد اشارت هذه اللقي الي ان المنطقة عبارة عن موقع اثري كبير تعرض الي التخريب بصورة كبيرة و بحتاج الي اعمال الحفريات الانقاذية العاجلة للتعرف علي طبيعة الموقع و إنقاذ ما يمكن إنقاذه من الاثار و المعلومات ، و بالتالي تحديد الفترات التي ينتمي اليها تاريخياً و اثرياً من اجل ضمه الي خارطة السودان الاثرية.
وقد عثر اثناء عمليات الحفر علي القطع الاثرية المسجلة بالارقام المتحفية التالية:

1. رقم 31544: سلطانية كبيرة من الفخار بفم عريض مزخرف بضغط الاصبع، استخدم في الدفن لغطاء راس المتوفي و من الداخل توجد اثار للون احمر(ربما من العهد المروي).
2. رقم 31545: سلطانية كبيرة بفم عريض و اسفله زخرفة بخطوط زقزاق، وهي مصنوعة باليد و تؤرخ للعهد المروي.
3. رقم 31546: سلطانية من الفخار بزخرفة اسفل الفم علي الكتف من ثلاثة و اربعة خطوط بنقاط غائرة. مصنوعة باليد (من العهد المروي).
4. رقم 31547: سلطانية من الفخار عريضة الفم مزخرفة بخطوط صغيرة (strips) علي الفم ، ومصنوعة باليد(من العهد المروي).
5. رقم 31548: سلطانية من الفخار بفم عريض مزخرف اسفله بنقاط مطبوعة (او مضغوطة) مصنوعة باليد (العهد المروي).
6. رقم 31549: : سلطانية من الفخار بفم عريض و نقاط مضغوطة علي الفم (rim)، مصنوعة باليد ،و هنالك اثار دخان بالداخل.(من العهد المروي!).
7. رقم 31550: سلطانية من الفخار بزخرفة - تحتّ الفم - مصنوعة باليد و ربما من العهد المروي.
8. رقم 31551: سلطانية من الفخار بزخرفة اسفل الفم مكونة من اربع صفوف لنقابط غائرة (Incised strip bands) مصنوعة باليد من العهد المروي.
9. رقم 31552: حجارة رحي (علوي و اسفل) من حجارة الجرانيت (العهد المروي).
10. رقم 31552: حجارة رحي (علوي و اسفل) من حجارة الجرانيت (العهد المروي).
11. رقم 31553: جزء من سلطانية من الفخار الاحمر بزخرفة علي فم الجرة.

و من واقع هذه المعثورات يبدو ان الموقع عبارة عن جبانه ، و تمثل هذه اللقي الاثرية جزء من الاثاث الجنائزي الذي يؤرخ ربما للعهد المروي.

الضفة الغربية :
تواصل العمل بالضفة الغربية للنيل الازرق و تم خلالها زيارة العديد من المواقع الاثرية و يمكن تلخيصها في المواقع التالية :

موقع ابو رماد :

483 54 11ْ ش

084 22 34ْ ق



الي الشمال من مدينة الدمازين و يقابله من الضفة الشرقية موقع حلة الحجر .الموقع عبارة عن كوم كبير يرتفع من مستوي السطح بحوالي 4 أمتار.و يقع علي مقربة من النيل علي بعد حوالي 500 متر.

يتكون الموقع من بنيات دائرية من الصخور و الصخور المبعثرة علي السطح ، و الصخور في حد ذاتها لا تتواجد بالمنطقة مما يشير الي جلبها من منطقة ما بعيدة عن الموقع .اما وظيفة الموقع فهي علي الارجح مقابر ،يصعب توريخها الا بعد التنقيب الاثري.

تمثلت الموجودات الاثرية في كسارة الفخار ،الرحي الحجرية ، الادوات الحجرية و العظام.

موقع الديسة :



حدد جغرافيا علي خطي طول و عرض:

929 02 12 ش

285 18 34ْ ق

تميز بنفس صفة المواقع الاخري. فقد وجد علي قمة كوم كبير من التربة الرسوبية ارتفاعه حوالي الـ 5أمتار و يبعد حوالي 1.5 كلم من النيل، و تنتشر الاكوام الرسوبية علي طول المنطقة و التي تتخللها اودية تصريف مياه الامطار في المنطقة .

اما الموقع من الناحية الاثرية فتنتشر علي سطحه مجموعة كبيرة من اجزاء الفخار ،الرحي الحجرية ،الادوات الحجرية و العظام مما يشير الي احتمال استخدام الموقع كمنطقة استيطانيه. و نتيجة لذلك عثر اهالي القرية علي علي بعض القطع الاثرية التي سجلت و بارقام متحفية وهي :

1. رقم 31554: سلطانية من الفخار لحفظ السوائل ، مصنوعة باليدو تورخ للعهد المروي.
2. رقم 31555: سلطانية صغيرة من الفخار ،و عليها زخرفة اسفل الفم عبارة عن شريط بخطوط صغيرة غائرة(Incised strip band).
3. رقم 31556: اربعة حجارة مسح (منقار) مؤتبطة دائماً بحجارة الرحي.
4. رقم 31557:حجر رحي علوي من حجارة الكوارتز (Quartze)

5. رقم 31558: حجر طرق من حجارة الكوارتز .
6. رقم 31559: جزء من حجر رحي علوي من حجارة القرانيت (Granite)
7. رقم 31560: قطعة صفراء من الكحل (صبغة)وجدت في اطار جنائزي.
8. رقم 31561: بقايا من زره محروق عثر عليها في مقبرة من العهد المروي، ربما جزء من الاثاث و الطقوس الجنائزية.
9. رقم 31562: اجزاء من عقود خرزها من مواد مختلفة (عقيق احمر، بيض النعام و ثلاثة خرزات كروية مزخرفة من الفخار او نواة الدوم).
10. رقم 31563: خرز من بيض النعام باحجام مختلفة.

تعرض جزء من الموقع للتخريب نتيجة عمليات الحفر و اخذ التراب من الموقع.

موقع جبل اقدي:

حددت جغرافياً علي خطي :

597 48 11 ش

177 04 34 ق

يبعد الموقع حوالي 32 كيلو متر غرب مدينة الدمازين وهو عبارة عن ثلاثة جبال اطلق عليها اقدي، داقويا و جبل موت و قد شملت جبل اقدي بوجود الرسومات الصخرية الملونة النادرة و الفريدة من نوعها في السودان عموم.و قد تكونت رسومات الزراف،النعام و ثور ذو قرون تميز أبقار هذه المنطقة حتي يومنا الحالي و يرجح انها تعود للعصر الحجري الحديث.



جبل فلي:

يقع 115 كيلو متر غرب مدينة الدمازين وهو من المواقع الاثرية الهامة اذ وجد بها الرسومات الصخرية و المقابر التي يطلق عليها مقابر الفونج و حددت علي خطي:

100 44 11 ش

843 30 33 ق

تعرض الموقع الي الدمار بصورة كبيرة جداً و ذلك بأخذ الأهالي تربة الموقع مما دمر العديد من المقابر، و قد وجد علي احدي القطاعات بقايا لاحدي المقابر التي امتدت اليها يد التخريب ، و القطاع الجزء العلوي لهيكل عظمي مستلقي باتجاه شمال جنوب بينما الجزء العلوي قد جرفته معاول الأهالي ، ومن خلال الوضع العام للمتوفى يبدو ان الراس الي الناحية الجنوبية ناظراً الي الشرق، و الي الناحية الشرقية مباشرة مدية من الحديد كإحدى مكونات الاثاثات الجنائزية المصاحبة.

تم توثيق الموقع وجمعت عدد من القطع الاثرية المكتملة من الاهالي و هي عبارة عن مباخر وانية فخارية تشابه الي حد كبير فخار الفونج.



الي الناحية الغربية من الجبل(قلي الجعليين) دلنـا الاهـالي علـي عـدد مـن الرسـومات الـصخرية الملونـة و التـي اسـتخدم فيهـا الالوان الاصفر،الاحمر و الاسود ، وتكونت الرسومات من الزراف و النعام و الابقار . وهذه اللقي الاثرية تحمل الارقام المتحفية التالية:

1. رقـم 31570: جـرة دائريـة الـشكل مـن الفخار الرمادي و الاسود و بها ديكور علي الفم بنقاط غائرة و شريط مموج تحت الديكور الاول بنقاط غائرة و ربما يرجع تاريخها الي عهد الفونج.
2. رقم 31571: جرة سوداء من الفخار استخدمت للطبخ ، و بها زخرفة جومترية بخطوط متقاطعة و يظهر علي اسفلها اثار النار . و تؤرخ لعهد الفونج.
3. رقم 31572:سلطانية بيضاوية الشكل من الفخار، مزخرفة بخطوط حول الفم ، ثم زرفة جومترية (مربعات متقاطعة) ثم خطوط و نقاط غائرة – و يرجع تاريخها الي عهد الفونج.
4. رقم 31573 : مبخر من الفخار بلون اسود من اثر حرق البخور ،رائع الصنع و الزخرفة، و يؤرخ لفترة الفونج.
5. رقم 31574: انية لحفظ العطور الناشفة علي هيئة قطية من الفخار اسود اللون، و تشبه في شكلها الانية الفخارية الملونة من موقع كرمة (رقم 119 SNM)بالولاية الشمالية و تؤرخ لعهد الفونج.
6. رقم 31575: مبخر من الفخار بلون اسود من اثر حرق البخور ، رائع الصنعو الزخرفة، ويؤرخ لعهد الفونج.
7. رقم 31576: سلطانية كبيرة الحجم بيضاوية الشكل مزخرفة من الخارج- و تؤرخ لعهد الفونج.
8. رقم 31577: سلطانية من الفخار داكنة اللون و مزخرفة علي كل جسمها، و تؤرخ لعهد الفونج.
9. رقم 31578:سلطانية كبيرة من الفخار ذو اللون الاسود و هي بيضاوية و بها زخرفة. من عهد الفونج.
10. رقم 31579: مبخر من الفخار ذو اللون الاسود و مزخرف عند فوهته ، وهو من العصر الحديث (المعاصر).
11. رقم 31580: سلطانية كبيرة من فخار ذو لون اسود و بها زخرفة عبارة عن خطوط متوازية من النقاط الغائرة في كل جسم الاناء و تو
12. رقم 31581: مبخر من الفخار الاخمر الفاقع اللون، مزخرف من اعلاه و حتي المؤخرة وهو من العصر الحديث.(المعاصر).
13. رقم 31582: غليون (كدوس) تبق من الفخار ذو اللون الاسود من اثر الدخان. من عهد السلطنة الزرقاء.

14. رقم 31583: غليون (كدوس) تبق من الفخار الاحمر مزخرف من الخارج. من عهد السلكنة الزرقاء.
15. رقم 31584: سكين من الحديد مصاحبة لمقبرة مهدمة. ربما من عهد السلطنة الزرقاء.

موقع جبل رورو:

وهو احد الجبال المنتشرة بتلك المناطق و حدد الموقع جغرافيا علي خطي:

636 53 11° ش

130 39 33° ق

يقع الموقع 75 كلم شمال غرب مدينة الدمازين ، وهو عبارة عن كوم كبير ممتد علي سفح الجبل و تنتشر علي سطحه كمية كبيرة من اجزاء الفخار و العظام . و نتيجة لعمليات الحفر المتكررة و اخذ التراب من قبل الاهالي بالمنطقة فقد وجد في وسط الموقع حفرة كبيرة جداً ،و ظهر علي طول مقطوعات هذه الحفرة بقايا الهياكل العظيمة الآدمية و الكثير من البقايا الفخارية علي عمق حوالي 1 الي 0.5 متر من السطح .



و استخدم في بعض بنيات هذه المقابر الصخور التي جلبت من الجبل نفسه، بينما طمست معالم البنيات الفوقية للكثير منها.كما وجدت في نفس الموقع مقابر ربما كانت حديثة.

و من القطع الاثرية التي عثر عليها المواطنون في هذه الموقع:

1. رقم 31567: جرة من الفخار لحفظ السوائل غير مزخرفة و استخدمت للأستعمال اليومي مما غير لونها الاخمر الي رمادي مائل للسواد.وهي مصنوعة باليد و تؤرخ للعهد المروي.
2. رقم 31568:مبخر من الفخار ، رمادي اللون و تظهر عليه اثار الاستعمال بحرق البخور في المناسبات الطقسية او الاخري.وهو متعدد الزخرفة الرائعة و طريقة بنائها المتعددة الاشكال.
3. رقم 31569:سلطانية من الفخار سوداء اللون من اثر استخدامها في المطبخ، و ترجع الي عهد الفونج.

و يبدو ان هناك استمرارية في استخدام الموقع حتي فترة الفونج

خلاصة:

من خلال المسوحات الاولية التي قام بها الفريق في هذه المنطقة فقد اتضح ان المنطقة تزخر بالعديد من المواقع الاثرية التي تنتشر علي ضفتي النيل ، و قد تمكن الفريق من زيارة عدد بسيط منها ، و تحتاج بصورة عامة الي عمل مسوحات منظمة

ملحق رقم (2)

المسح الاستطلاعي للمناطق المتأثرة بتعلية سد الرصيرص (مترجم للغة العربية)

وزارة الثقافة والشباب والرياضة

الهيئة العامة للآثار والمتاحف (NCAM)

مشروع تعلية سد الروصيرص وإنقاذ الآثار

مسح استطلاعي

التقرير النهائي: فبراير 2009

NCAM

	مزخرفة. كان هنالك أيضاً عدد من أحجار الطحن. كما تمكنا من ملاحظة أكوام صغيرة من الأحجار، يتراوح قطرها بين 50 و70 سنتيمتراً. قد تكوم تلك الأكوام الحجرية قبوراً.					
غير معروف	يوجد، على الضفة اليمنى لوادي الشريف، أحد عشر هيكل صخريٍّ. اتصفت تلك الهياكل بإطار دائري صخري وصخرة واحدة في المنتصف. يبلغ قطر الهياكل، حوالي ثلاثة أمتار. ولكن لم نتمكن من العثور على بقايا آنية خزفية في المنطقة.	مستوطنة	إي 0671484 إين 1268516	الشريف	روصيرص إي 37	23
غير معروف	تم العثور على بقايا مبعثرة لآنية خزفية، بعضها مزخرف. كما تم إيجاد حجارة طحن على السطح من مساحة كبيرة من الأكوام ترابية، وذلك بالقرب من النيل الأزرق.	مستوطنة	إي 0674753 إين 1263947	ود الماحي	روصيرص إي 38	24

25	روصيرص إي 39	فمكه	إي 0689574 إين 1249402	مستوطنة	تم إيجاد قلعة صخرية مبنية على أرض مرتفعة. تقع المنطقة التي وُجدت فيها القلعة، على سفح جبل فمكه، وتواجه النيل الأزرق من اتجاهين (حيث أن النهر كان قد غير اتجاهه حينها). للقلعة سبعة أبراج مستديرة موزعة على الحواف والأركان، بالإضافة إلى عدد من الوحدات الداخلية مربعة أو مستطيلة الشكل. أما عن داخل القلعة، فيمكن إيجاد بقايا آنية خزفية وعدد كبير من أحجار الطحن. وفيما يتعلق بتلك الأخيرة، فيمكن إيجاد بقايا أحجار الطحن من الجزئين العلوي والسفلي، حيث يكون الجزء السفلي أكبر حجماً (30–40 x 60–70 سنتيمتراً)	الفونج– التركي؟؟
26	روصيرص إي 40	فمكه	إي 0689399 إين 1249718	مقبرة	تتشكل المقبرة من حوالي ثمانية قبور. أما عن إحداثيات الموقع، فهو يقع شمال روس إي 39، على سفح جبل فمكه. للقبور تلال صخرية مستديرة بقطر 5 – 7 متر. ويمكن لأيجاد بقايا آنية خزفية في المساحة المحيطة و...	غير معروف

...السكان، مما أدى لاكتشاف مواقع أثرية أخرى[1]. بالإضافة إلى ذلك، فقد وجد المواطنون أوعية فخار كاملة (بالرقم 8)، في موقعين (روصيرص إي 33 وروصيرص إي 55)، وقد سلموها إلى الفريق.

يعتبر الإقليم، بشكل عام، جزءاً من السافنا الفقيرة؛ حيث أن تربته تتميز يالطين الداكن، ويتصف مناخه بالأمطار الغزيرة في فصلي الصيف والخريف (منذ مطلع شهر مايو حتى نهاية شهر أكتوبر). أما الغطاء النباتي للمنطقة، فيتميز بالأجمات الطويلة لأشجار كبيرة كالأكاسيا والطلح والتبلدي والهجليج والحراز.

فيما يسبق هذا المشروع، كان العمل الأثري في منطقة إقليم النيل الأزرق محدوداً للغاية بشكل عام. بل كان العمل الأثري الوحيد في المنطقة، عملاً وثائقياً من قبل الهيئة العامة للآثار والمتاحف. وقد تم ذلك العمل في الأعوام 1997، و2001، و2008، في مدينة الدندر وداخل محمية الدندر.

غطى العمل الميداني مسافة تصل إلى حوالي 110 كيلومتر على امتداد الضفة الشرقية لبحيرة السد. قدم المسح احتمالات لم تكن متوقعة بغزارة العمل الأثري في المنطقة. وقد تم العثور على 55 موقعاً أثرياً في الإجمال. كما تم التوثيق للمواقع المُكتشفة من خلال الوصف والتقارير المصورة والحفريات. يوضح الجدول التالي (جدول رقم 3)، أماكن المواقع الأثرية المُكتشفة على امتداد الضفة الشرقية، كما يعطي وصفاً وجيزاً لكل موقع.

لقد أظهرت المواقع الأثرية المُكتشفة حديثاً، تمايزاً واضحاُ؛ حيث اختلفت الحفريات من مقتنيات أثرية مبعثرة على السطح، إلى مستوطنات غنية ومعروفة، وتلال رملية ومقابر. وقد اختلفت المواقع أيضاً في حجمها وأهميتها، مما استدعى الاختلاف في بعثات الإنقاذ من موقع لآخر. كما اختلف التدخل الإنقاذي نفسه، من دمج لدراسات السطح والتوثيق وحفر الاختبار في 14 موقعاً، إلى تسيير حملات تنقيب جزئية وكلية في 41 موقعاً (جدول رقم 4).

من المسائل التي أبرزت صعوبة واضحة، مسألة تأريخ المواقع بناء على بيانات الاستطلاع؛ وذلك بسبب النقص في الدراسات السابقة التي توفر مواداً مماثلة ومعلومات عن المشهد الآثاري في المنطقة. ومن هذا المنطلق، فإن عمليات تنقيب إضافية لهي أمر أساسي للتأريخ النهائي، وللتوصل إلى فهم أفضل للآثار في الإقليم.

(1) ومن هنا، نود أن نعبر عن شكرنا وامتناننا للشيوخ والعُمد، لمساعدتهم ومشاركتهم. وأولئك الشيوخ والعُمد هم: الطيب بادي (قرية الدخلة)، والفضل رجب (قرية طراية)، ورجب الضو آدم (قرية الشريف)، وأثنيان (قرية كرمة)، وعطا المنان محمد الماحي وعبد الكريم محمد الماحي (قرية ود الماحي).

وتعود أهمية ذلك، إلى اختلاف المواقع الأثرية المُكتشفة من نظرائها في الجزء الشمالي من البلاد، ومن المواقع المتواجدة على امتداد الإقليم النيلي بشكل عام. ولكن، ومن جانب آخر، فإن المواقع التي تعود إلى فترة ما قبل التاريخ، تشي بتشابه في الطبيعة وفي المواد التي يمكن ملاحظتها على السطح. وقد تم التعرف على حوالي 13 موقعاً يعود لما قبل التاريخ، كمواقع تعود بشكل محتمل إلى العصر الحجري الحديث، وذلك من خلال أنماط الزخرفة في البقايا التي عُثر عليها للآنية الخزفية، وأيضاً من خلال توزيع الأدوات الصخرية وبقايا أدوات الطحن الموجودة على السطح. وقد أثمر البحث في عدد من المواقع عن بقايا آنية خزفية تعود للعصر الحجري الحديث، تتميز بزخرفة من أنماط خطية أو خطوط منقطة. وقد تم استنتاج أن المواقع (روصيرص إي 5) و (روصيرص إي 15) أمثلة لمواقع سكنية تعود إلى العصر الحجري الحديث (انظر اللوحات 9 و10 و11 و12 و13).

تتوزع المواقع الأثرية المُكتشفة، من الناحية التاريخية، بين فترة ما قبل التاريخ إلى الحيز الزمني الذي توغل فيه جيش محمد علي باشا في الإقليم، وذلك في العام 1821. وفي الواقع، فقد تم اكتشاف قلعة صخرية في مكان عالٍ على سفح جبل فمكه (روصيرص إي 39)، تواجه النيل الأزرق من ناحيتين مختلفتين (من جهة انقلاب النهر)، وتعود تلك القلعة إلى العهد التركي. للقلعة سبعة أبراج مستديرة موزعة على الحواف والأركان، بالإضافة إلى عدد من الوحدات الداخلية مربعة أو مستطيلة الشكل (انظر اللوحات 14 و15). أما عن داخل القلعة، فيمكن إيجاد بقايا آنية خزفية وزجاج وعدد كبير من أحجار الطحن. وفيما يتعلق بتلك الأخيرة، فيمكن إيجاد بقايا أحجار الطحن من الجزئين العلوي والسفلي. وقد تم تجميع أدلة من المواد الموجود على السطح ومن الروايات المتناقلة شفهياً، على أن تلك القلعة كانت مستخدمة من قبل الأتراك. ومن الأدلة ذات الأهمية الكبيرة، اكتشاف فوارغ رصاص مسدس، وزر من زي عسكري يعود إلى الفترة التركية (انظر اللوحة 16).

أظهر توزيع المواقع الأثرية من خلال الاستطلاع، تمركزاً للمواقع في بعض المناطق. وتعتبر المنطقة إلى الجنوب من دام، أكبر المناطق. وهي المنطقة التي سيتم فيها إنشاء توسعة لبحيرة السد. وبالمقارنة مع المناطق المتوغلة جنوباً في الاستطلاع، من كرمة إلى فمكه، فإن المنطقة المعنية تشي بإمكانيات آثارية كامنة ضعيفة. وعلى الأغلب، يعود النقص في المواقع الأثرية في المنطقة بين النقطتين 1 و8، إلى استخدام الأرض للزراعة بشكل مكثف. وهو الاستخدام الذي أثر سلباً على المحافظة على المواقع الأثرية (انظر اللوحة 17).

تقع بعض مواقع المستوطنات الغنية في المناطق العالية. ويمكن تمييزها عن المناطق غير الآهلة بالسكان من خلال تركيب التربة السطحية. وتتميز جيولوجيا المنطقة بالتربة التي تعرف بالقطن الأسود، وهي تربة ذات تصدعات كبيرة وجافة. كما تختلط تربة القطن الأسود بالرمل والطمي في تلك المواقع. كما يظهر فقر الغطاء النباتي الكبير كالأشجار والشجيرات في المواقع المعنية. ولكن الخاصية الأساسية لتلك المواقع، هي الكثرة في كمية بقايا الآنية الخزفية، والنسبة الكبيرة للآنية المزخرفة بالأنماط المنقوشة والمحفورة. ومن الاكتشافات الأخرى، عدد من حجارة الطحن وصخور الطرق، والخرز الخزفي والصخري؛ وكل تلك المقتنيات، تدلل على المستوطنات والمناطق التي كانت آهلة بالسكان. وعلى الرغم من ندرة الأحجار المتماسكة، إلا أنه يمكن ملاحظتها في بعض المواقع.

تتشكل عدد من المواقع المُكتشفة حديثاً، من بقايا الآنية الخزفية وأحجار الطحن بشكل أساسي، وتوجد هذه البقايا على امتداد الأراضي الزراعية. لا يخفى على الإطلاق، التآكل الناتج عن الأمطار والذي حدث في المواقع الأثرية بالمنطقة. ليس هذا وحسب، بل إن المعلومات الشفهية المتناقلة عن طريق السكان، تُحدّث عن الدمار الذي حل بالمواقع الأثرية خلال فترة بناء السد، وستمر خلال العام 1966.

للمستوطنات التي تم اكتشافها بالمنطقة هيئتان، أولاهما، التمركز الواضح للمقتنيات الأثرية على سطح الكثبان الرملية. أما الهيئة الثانية، فهي تتمثل في التراكيب الصخرية على مدى المنطقة التي شملها الاستطلاع. يمكن تأريخ بعض المواقع الأثرية ذات التراكيب الصخرية المميزة إلى عصر ما قبل التاريخ، بينما تُنسب بعض المواقع الأخرى إلى عهد الفونج من خلال الروايات الشفهية، وهي على الأرجح، فترة ما قبل الإسلام أو بداياته (روصيرص 37). اتصفت تلك الهياكل بإطار دائري صخري وصخرة واحدة في المنتصف. كما يبلغ قطر الهياكل، حوالي ثلاثة أمتار. في معظم المواقع، تم إيجاد بقايا آنية خزفية مزخرفة، ولكن في بعض الحالات، لم تتم ملاحظة أية بقايا تعود لآنية خزفية على السطح بالقرب من الهياكل الصخرية المذكورة. وقد تم اكتشاف أحد أكبر المواقع السكنية في أبو شندي (روصيرص 54)، بوسط قرية مواجهة للنيل الأزرق. وقد تكون الموقع من عدد كبير من هياكل الصخور الدائرية بوضعية عمودية. على السطح، تم ايجاد بقايا لأنية خزفية بعضها مزخرف، كما تم ايجاد أجزاء سفلية لأحجار طحن. كما يرجح أن تكون بقايا الحائط الصخري الذي تم اكتشافه، جزءاً من حائط كان يحيط بالموقع. ولكن، أعاق استخدام الموقع للأغراض الزراعية، الحائطَ بشكل جزئي (امظر اللوحات 18 و19 و20).

تعتبر المدافن خاصة مشتركة لعدد من المواقع الموثق لها. وتتعدد أحجام المدافن العشرين، حيث يمكن التعرف على المقابر الكبيرة التي تحوي أكثر من 100 قبر، كما تتوفر القبور المنعزلة الفردية والتي تم إيجادها في المناطق العالية. وقد كان المقياس الأساسي لتأريخ القبور، شكل القبور ذاته وتوجه البنية الفوقية لها. وقد تمت ملاحظة أن القبور الأكثر انتشاراً على امتداد المنطقة جنوب كرمه، هي القبور ذات الشكل البيضاوي والمغطاة بالإطار الصخري والحصى البيضاء في الوسط، إضافة لكونها تتجه شرق - غرب. وقد تم إيجاد 5 مواقع من هذا النوع، وتم تأريخهم إلى فترة العصور الوسطى (روصيرص 26 و32 و34 و44 و52) (انظر اللوحات 21 و22).

تم إيجاد بعض المدافن بفضل المعلومات التي تم التحصل عليها من قبل السكان المحليين، ومنهم أولئك من نسل العنج أو الفونج، وهم الذين كانوا يسيطرون على الإقيم خلال الفترتين، ما قبل الإسلام وبداياته. أما فيما يتعلق بالقبور التي ترجع إلى تلك الفترات، فتتميز ببنية فوقية صخرية مستديرة. أما المقتنيات التي تم إيجادها على السطح، فتتشكل من بقايا الآنية الخزفية المتناثرة كما في (روصيرص 18) (انظر اللوحة 23). ويعتبر الموقع (روصيرص 20)، أكبر مثال على هذا النوع من القبور، حيث يتكون من أكثر من 100 قبر. كما يغطي سطح هذا الموقع ، عدد من بقايا الآنية الخزفية وحجارة الطحن المكسورة (انظر اللوحة 24).

ومن بين مواقع الدفن المُكتشفة، بعض الحالات التي لم يتم التعرف عليها. وكمثال عليها، الموقع (روصيرص 50)، أحد أكبر المواقع التي تتكون من مجموعة قبور مغطاة مغطاة بتلال صخرية مستديرة على قمة منطقة من الكثبان الترابية، وذلك على الضفة اليسرى لخور الجنة (انظر اللوحة 25). على سطح الموقع، تم اكتشاف بقايا آنية خزفية مزخرفة (انظر اللوحة 26). وفي داخل نفس القرية، توجد مقبرة في الوسط يشقها طريق سريع. أما فيما يتعلق بالبنية الفوقية للقبور، فقد تمت تعريتها، وإن كانت آثارها باقية (انظر اللوحة 27).

خلال أعمال الاستطلاع، اعتبرنا المنطقة إلى الشمال من السد، كمنطقة تحت تهديد أعمال التشييد والتعلية. حيث أن أحد المواقع داخل قرية قاميز، والذي يقع على تل ترابي عالٍ، قد تم استخدامه لصناعة الطوب من أجل البناء. كما يُظهر السطح آثاراً لصخور من بنية فوقية لقبور وبقايا آنية خزفية وأدوات صخرية. كما تمكنا من الحصول على جرار فخارية وأوانٍ من المواقع، وذلك بفضل السكان المحليين الذين وجدوها خلال النشاطات السكانية المحلية (انظر اللوحة 28).

ختاماً، كان الهدف الأولي من المسح الاستطلاعي، هو التحري عن الإمكانيات الآثارية الكامنة في الإقليم المُهَدد جنوب النيل الأزرق. وقد نجح الاستطلاع في جمع معلومات تُظهر غنى الإقليم من الناحية الآثارية. ولكن، ومن خلال المسح أيضاً، فقد تم تسجيل عدد من المواقع كغير معروفة، وذلك لأن الحفاظ على معظم تلك المواقع كان ضعيفاً نتيجة لتأثيرات طبيعية وعوامل أخرى إنسانية.

وبالتالي، ولفهم تاريخ الإقليم بشكل أفضل، فنحن نوصي بتسيير عمليات تنقيب في بعض المواقع المُختارة، والمسماة في الجدول رقم 5.

ملحق رقم (3)

المسح الاستطلاعي للمناطق المتأثرة بتعلية سد الرصيرص

(أصل التقرير باللغة الإنجليزية)

Ministry of Culture, Youth and Sport

National Corporation for Antiquities and Museums (NCAM)

Rosieres Dam Heightening Archaeological Salvage Project

Reconnaissance Survey



Final Report; February 2009

NCAM

					decorated. There are also number of fragments of grinding stones. We have observed small mounds of stone 50 to 70 cm in diameter it could be tombs	
23	ROS E 37	As Sereaf	E 0671484 N 1268516	Settlement	On the right bank of Wadi As Sereaf there are 11 stone structures. Circular stone frame and one stone on the centre. The structures are about 3 m in diameter. No potsherds have been observed on the ground surface	Un known
24	ROS E 38	Wad Al Mahi	E 0674753 N 1263947	Settlement	Scatter of potsherds some are decorated and fragments of grinding stones on the surface of big area of mounds of earth closed to the Blue Nile	Un known
25	ROS E 39	Famaka	E 0689574 N 1249402	Settlement	Fortress of stone built on high area on the feet of Famaka mountain facing the Blue Nile in two sides (The river turned direction in this point). The fort has 7 rounded towers along the edges and corners together with number of internal units in square and rectangular shapes. On the surface inside the fortress is scatter of potsherds and quite large number of grinding stones both upper and lower parts the lower are big in size (30-40 x 60-70 cm)	Fung – Turkish ??
26	ROS E 40	Famaka	E 0689399 N 1249718	Cemetery	Group of about 8 tombs. The site situated north of ROS E 39 on the feet of famaka mountain. The tombs have rounded mound shape of stones 5 to 7 m in diameter. On the surrounded surface is scatter of potsherds and	Un known

inhabitants led to the discovery of new archaeological sites*. In addition, complete pottery bowls from two sites (ROSE 33, ROSE 55) found by the citizens have been handed over to the team (plate 8).

The region in general is considered to be poor savannah, with dark clay soil, and characterized with heavy rain fall rates during summer and autumn (beginning of May to the end of October). The flora in the area consists of long bushes and big trees such as Acacia and (Talih, Tabaldi, Higleag, and Haraz).

Previously a very limited archaeological work was done in the area of the Blue Nile region in general. In fact, the only archaeological research was a documentary work done by NCAM in 1997, 2001, and 2008 in Ed Dindir Town and inside the Dindir National Park.

The field work has covered a distance of about 110 km along the eastern bank of the dam lake. The survey has presented unexpectedly rich archaeological potential in the region. In total of 55 archaeological sites have been discovered and documented by description, photographic record, and a collection of surface finds. The following table (table 3) gives the location of the discovered sites along the eastern bank and a brief description.

The newly recorded archaeological sites were very diverse, from scattered archaeological material on the surface to well recognized, rich settlement mounds and cemeteries. The sites vary considerably in size and importance; hence the consequent rescue operations differ from site to another. The rescue interventions vary from incorporating surface studies, documentation, and test pits in 14 sites to conduct partial and full excavations in 41 sites (table 4).

Dating the archaeological sites in the area based on the survey data was a problematic issue, since there is lack of previous studies providing analogous material and information concerning the archaeological view of the area. Therefore, further excavations are very necessary for an absolute dating for better understanding the archaeology of the region. In fact the archaeological sites are different from those in the northern part of the country and along the Nile region in general. However, the prehistoric sites show similarities in nature and in the observable surface materials. About 13 prehistoric sites most probably Neolithic have been identified based on the potsherds decoration patterns, together with the distribution of the stone tools and grinder fragments on the surrounding surface. A number of the sites have yielded Neolithic potsherds decorated with lines and dotted lines motifs. Sites (ROS E 5) , (ROS E 15) are examples of habitation sites dating to the prehistoric period (Plate 9, 10, 11, 12, 13).

The revealed archaeological sites are historically divers from the prehistoric periods to the time of the Mohammed Ali Basha army penetration to the region in 1821. In fact, there is a fortress of stone built on high area at the foot of

* We would like to express our thanks to the Sheiks and the Omdas of the following villages for their assistance and cooperation: Al Tayip Badi (Al Dakhla), Al Fadul Rajab (Taraya), Rajab Al Dao Adam (As Sereafa), Adnean (Kirma), Ata Alman Mohammed Al Mahi, Abd Al Kareem Mohammed Al Mahi (Wad Al Mahi)

Famaka Mountain (ROS E 39) facing the Blue Nile in two sides (where the river turned) dating to the Turkish period. The fort has 7 rounded towers along the edges and corners together with a number of internal units in square and rectangular shapes (plate 14, 15). On the surface inside the fortress is a scatter of potsherds, glass, and quite a large number of grinding stones both upper and lower parts. There is evidence from the surface materials and from the oral testimonies to prove that this fortress has been used by the Turks. Some of the important finds are an empty gun bullet and a button of a military uniform dating to the Turkish period (plate 16).

The distribution of the archaeological sites along the survey shows concentration of sites in some areas. The area directly south of the dam is the largest in distance. It is the area where the new extension of the dam lake will be set up. This area shows poor archaeological potential compared to the most southern part of the survey from Kirma and up stream to Famaka. The lack of archaeological sites in the area between point 1 and point 8 is probably due to the intensive use of the land for cultivation, which directly affected the preservation of the archaeological sites (Plate 17).

Some of the discovered rich settlement sites are situated on higher grounds. They are clearly distinguishable from uninhabited areas by the composition of the ground surface. The so-called 'Black Cotton Soil' with its large and deep dry cracks, characterizing the geology of the area, is mixed with sand and silt at these sites. In addition, larger vegetation like trees and shrubs is less dense at the sites. The main feature of these sites, however, are abundant scatters of potsherds, including a relatively large proportion of potsherds decorated with incised and impressed patterns. Further surface finds are grinder and hammer stones, beads of pottery and stone, all typical surface finds of settlement and occupation sites. Lithics are less frequent, but observable in some of the sites.

A number of the newly discovered sites are mainly scatters of potsherds and fragments of grinder stones found all over the cultivated lands. The archaeological sites in the area have been obviously eroded by the rain fall. In addition, the oral information from number of locals village's inhabitancies have indicated tells about the destruction of archaeological site during the building of the dam and flooded consequently in 1966.

The settlement sites in the area have been found in two forms, the first is scatter of dense archaeological materials on the surface of high earth mounds. The second consisted of stone structures found along the survey area. Some are dated to prehistoric period and some have been dated based on the oral information to the Fung (Anag) period, which is probably pre or early Islamic (ROS E 37). These structures are circular stone frames about 3 m in diameter with one stone on the centre. In most of the sites there are scatters of decorated potsherds, but in some cases no potsherds have been observed on the ground surface near these structures. One of the biggest habitation sites has been found in Abu Shendi (ROS E 54), in the middle of the village facing the Blue Nile. It consisted of a

large number of circular stone structures in vertical position. On the surface there are many potsherds, some of them decorated and lower grinding stones. There are remains of a stone wall which seems to be surrounding the site; however the use of the land for farming disturbed the site partially (Plate 18, 19, 20).

The burials are common features of some recorded sites. A total of 20 burial sites vary from big cemeteries containing more than 100 tombs to an isolated tomb on high area were found. The criteria used for preliminary dating of the tombs were based on the shape and the orientation of the superstructures. The oval shaped tombs covered by stones frame and with white pebbles in the middle and oriented EW, are the most frequent type along the area south of Kirma. There are 5 sites of this type have been found and dated to the medieval period (ROS E 26, 32, 34, 44, 52) (Plate 21, 22).

Some of the burial sites have been found based on the information from the locals and those are known as belonging to the Anag or the Fung who occupied the area during the pre and the early Islamic periods. The tombs of this type have rounded shaped stone mound superstructure. The surface materials are scattered decorated potsherds like in (ROS E 18) (Plate 23). Site (ROS E 20) which is the biggest example of this type, consists of probably more than 100 tombs. The surface of the site was covered with potsherds and broken grinding stone (Plate 24).

Among the discovered burial sites there are unidentified cases, for instance site (ROS E 50), one of the biggest sites consisting of group of tombs covered by rounded stone mound found on top of area of high earth mounds on the left bank of Khor Al Gana (Plate 25). On the surface of the site was a scatter of decorated potsherds (Plate 26). Inside the same village there is a cemetery situated on the middle of the village crossed by the car road. The tombs superstructures have been eroded but there are traces showing the intact part of the site (Plate 27)

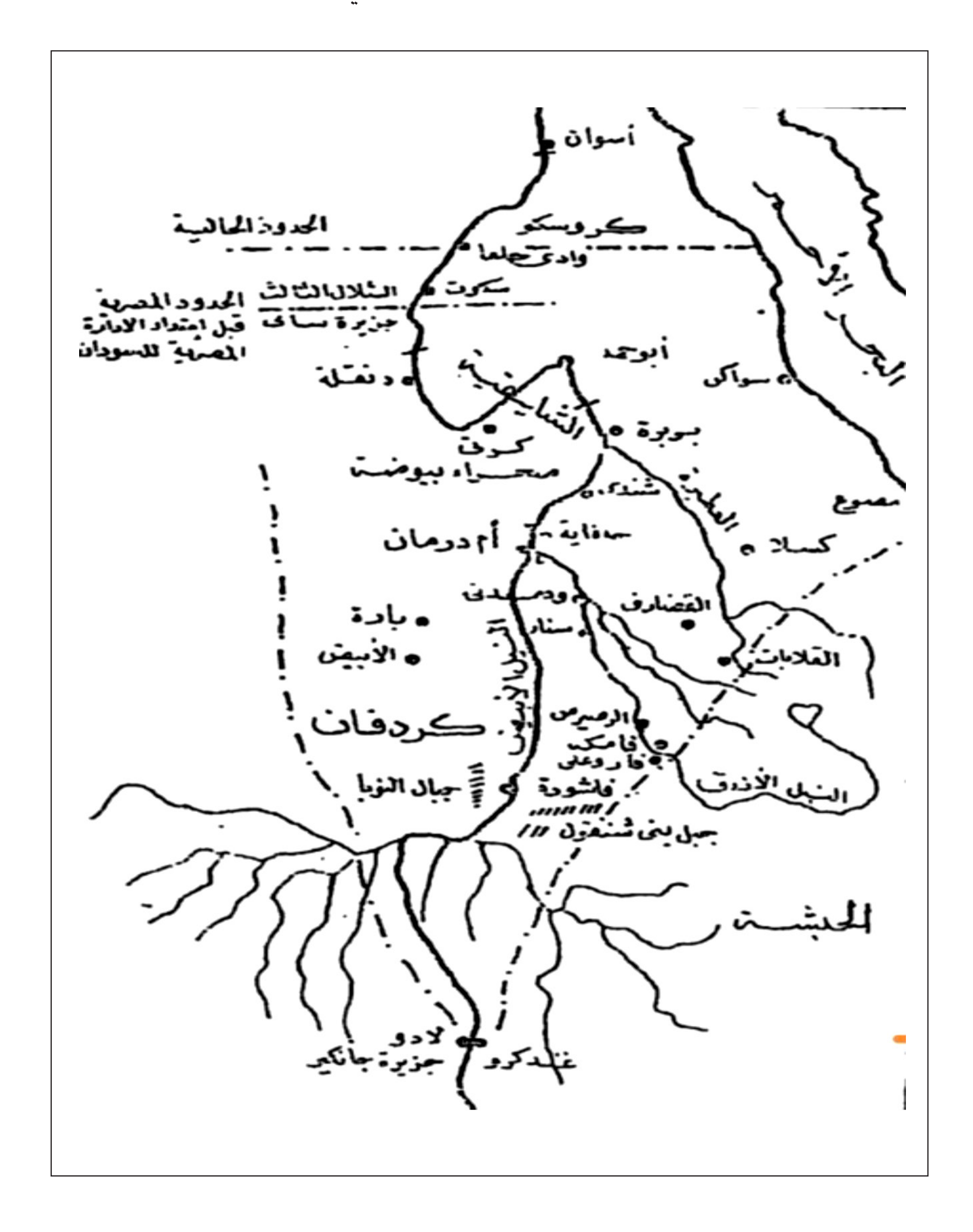
During the survey we considered the area north to the dam as endangered by the construction activities. One site has been registered inside the village of Ganees on a high and large mound, which has been used recently for making bricks for building. The surface shows traces of tomb stone superstructures and scatter of potsherds and stone tools. The locals provided us with number of pottery jars and bowls discovered at the site during the local activities (Plate 28).

Finally, the survey aimed at the beginning to investigate the archaeological potential in the endangered region of the southern Blue Nile and it has provided information showing how the region is archeologically rich. However, there was a number of archaeological sites registered during the survey as unidentified type of sites since the preservation of most of them was poor and was affected considerably by natural and human factors.

Thus, for better understanding the history of the region we do recommend to carry out archaeological excavations in selected site in table 5.

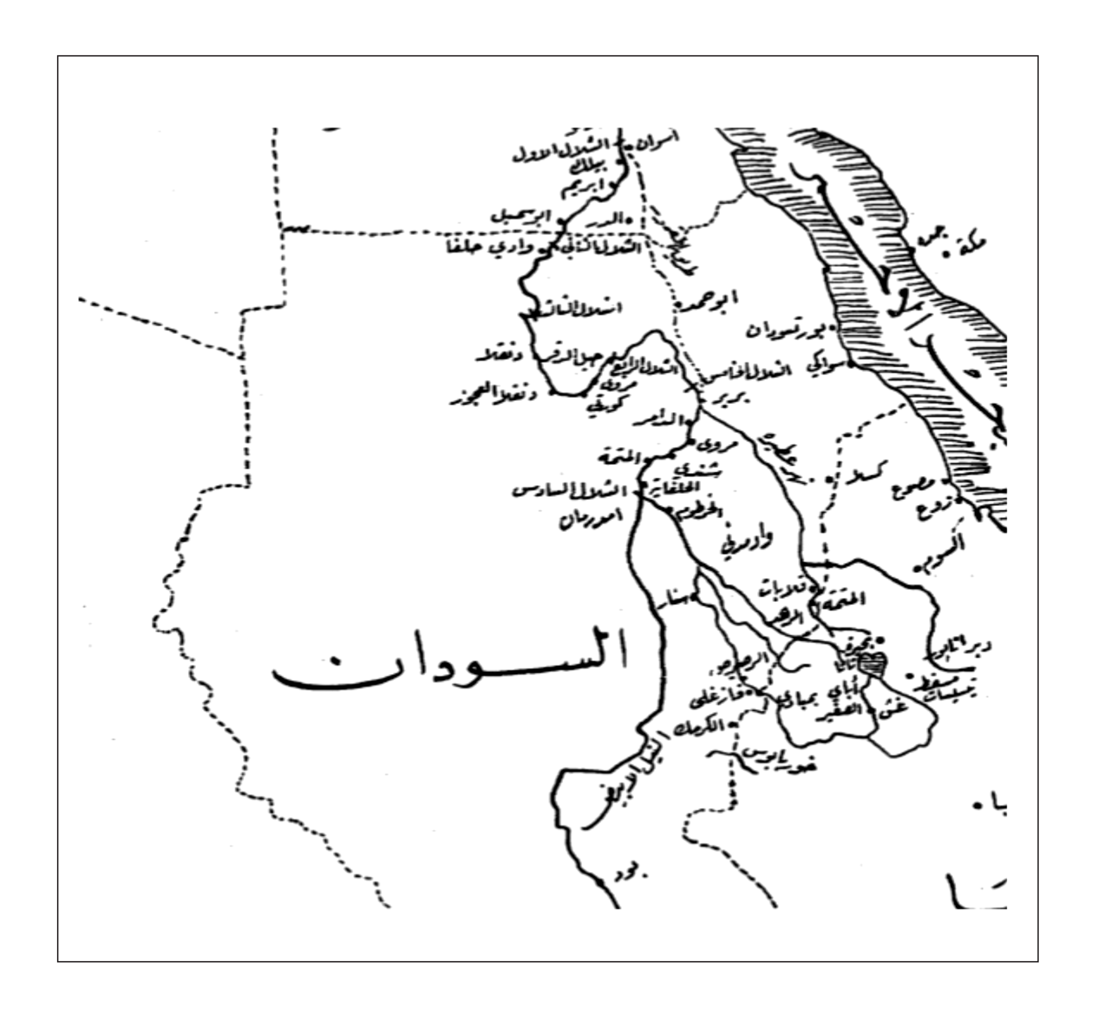
ملحق رقم (4)

خريطة توضح امتداد السودان في عهد محمد علي باشا وتوضح أيضاً مناطق إنتاج الذهب في كردفان والنيل الأزرق وبني شنقول.



ملحق رقم (5)

خريطة توضح مناطق الذهب جنوب النيل الأزرق، المصدر: الان مورهيد، النيل الأزرق



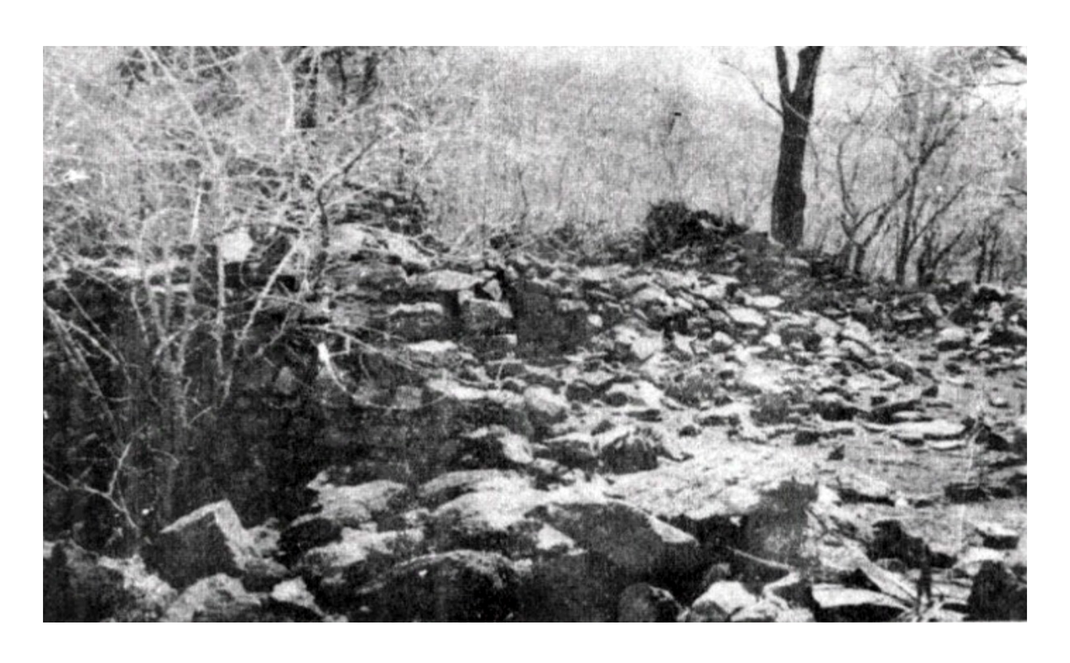
ملحق رقم (6)

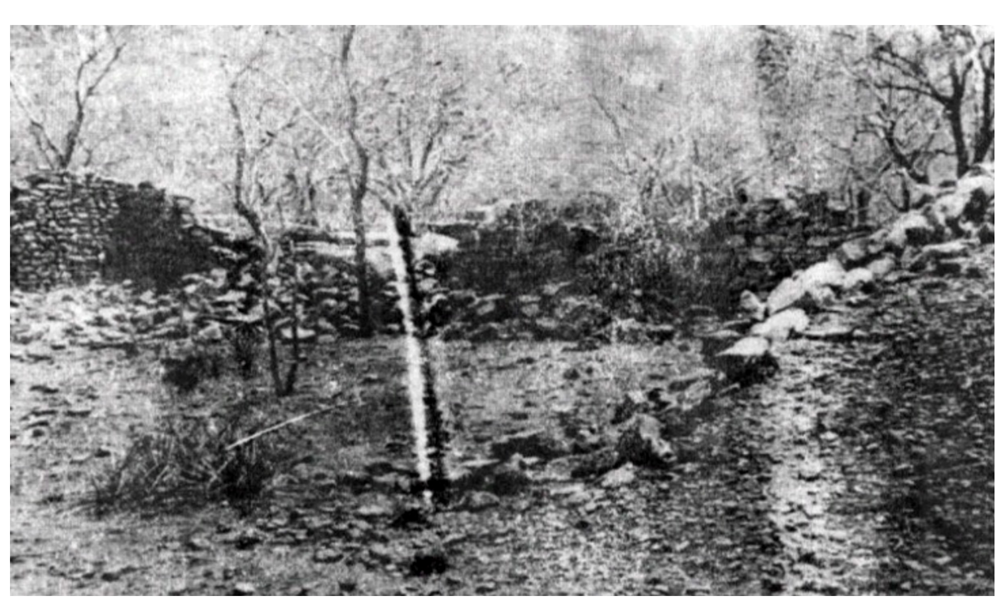
أول صورة فتوغرافية تم التقاطها لمحمد علي باشا في العام في 4 نوفمبر 1839م أي بعد زيارته للسودان.



ملحق رقم (7)

البقايا السطحية لمدينة محمد علي باشا في النيل الأزرق - المصدر: رحلة محمد علي باشا للسودان، حسن أحمد إبراهيم، رحلة ميدانية أبريل 1980م





ملحق رقم (8)

جانب من سور المدينة وبعض المباني - نوفمبر 2023م، المصدر علي أحمد إبراهيم وفريق لزيارة للمدينة نوفمبر 2023م





ملحق رقم (9)

جانب من سور المدينة تم التقاط الصورة بتاريخ نوفمبر 2023م، المصدر على أحمد إبراهيم وآخرون



ملحق رقم (10)

الأشجار تحيط بالمدينة، نوفمبر 2023م





ملحق رقم (11)

الفريق الذي قام بزيارة مدينة محمد علي باشا ، نوفمبر 2023






APD
دار آريثيريا للنشر والتوزيع
Arrythria for Publishing and Distribuation



حاتم الصديق محمد أحمد أبوزيد

- مكان وتاريخ الميلاد: قرية الهجيليج - مصنع سكر الجنيد شرق الجزيرة 1981م.
- أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر بقسم التاريخ - كلية التربية جامعة الزعيم الأزهري
- مدير مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر .
- نال درجة الاستاذية (بروفيسور) في العام 2020م.
- عضو مجلس أساتذة جامعة الزعيم الازهري
- عمل أستاذاً للتاريخ في عدد من الجامعات داخل السودان وخارجه.
- تولى العديد من المناصب الإدارية .
- عضو العديد من الجمعيات العلمية داخل السودان وخارجه.
- عضو العدد من الهيئات العلمية لعدد من المجلات داخل السودان وخارجه.
- شارك في عدد من المؤتمرات المحلية والدولية
- رئيس هيئة تحرير مجلات القُلزم العلمية الدولية المُحكمة.
- رئيس للعديد من الفروق البحثية .
- لديه العديد من الدراسات والبحوث والمنشورة بدوريات محلية ودولية.
- لديه العديد من الكتب المنشورة منها:

1- الجيش في المهدية 1881-1898م
2- دور الأمير يعقوب في المهدية 1881-1898م
3- الزعيم الأزهري حياة زاخرة ومواقف خالدة - كتاب مشترك - (باللغتين العربية والانجليزية)
4- فظائع الدفتردار في السودان 1821-1824م
5- سيرة النور بك محمد عنقرة بقلمه 1924م - كتاب مشترك.
6- تاريخ التنافس في البحر الأحمر
7- النظم الحضارية في الدولة المهدية 1885-1898م.
8- القَلَد في شرق السودان عبقرية العُرف والسلم الاجتماعي كتاب مشترك.



دار آريثيريا للنشر والتوزيع
Arrythria for Publishing and Distribuation